

بِلَادُ يَنْبُع

لِحَاثُ تَارِيخِيَّةِ جُغْرَافِيَّةِ وَأَنْطِبَاعَاتُ خَاصَّةِ

بِقَلَمِ: حَمْدِ الْجَابِرِ

فهرس الكتاب

الصفحة

٥	<u>مقدمة</u>
٧	<u>من مصادر تاريخ ينبع</u>
٩ - ٤٤	<u>القسم الاول : ينبع النخل</u>
١١	<u>موقعها من مشامير اهلها (وانظر ١٠٣ و ١١٧</u>
	<u>و ١٣٩ و ١٤١ و ٢٨٩) .</u>
١٢	<u>بعض المواضع المشهورة فيها</u>
١٥	<u>سويقة (وانظر ص ١٣٧ / ١٨٨)</u>
١٧	<u>العشيرة (ص ٢٠٠)</u>
١٨	<u>نخلى</u>
٢١	<u>يلنيل .</u>

٢٢	<u>من اخبارها في صدر الاسلام</u>
٢٧	<u>وصفها في القرن الرابع</u>
٢٨	<u>قيام دولة الحسين من العلقمية</u>
٢٩	<u>من اخبارها في القرن التاسع</u>
٣٢	<u>من اخبارها في القرن العاشر</u>
٣٣	<u>وصفها في كتاب « درر الفوائد »</u>
٣٦	<u>وصفها في رحلة القطبي</u>
٣٨	<u>في كتاب طريق الحج لمحمد بن عبدالقادر الحنفي</u>
٣٩	<u>وصفها في رحلة النابلسي</u>
٤١	<u>أهم قراها في العهد الحاضر</u>
٤٥ - ١٢٣	<u>القسم الثاني : ينبع البحر</u>
٤٦	<u>شيء من تاريخها القديم</u>
٤٧	<u>الجار ميناء المدينة</u>
٤٩	<u>ينبع تحل محل الجار</u>
٥١	<u>دراج امير ينبع محمي المدينة</u>

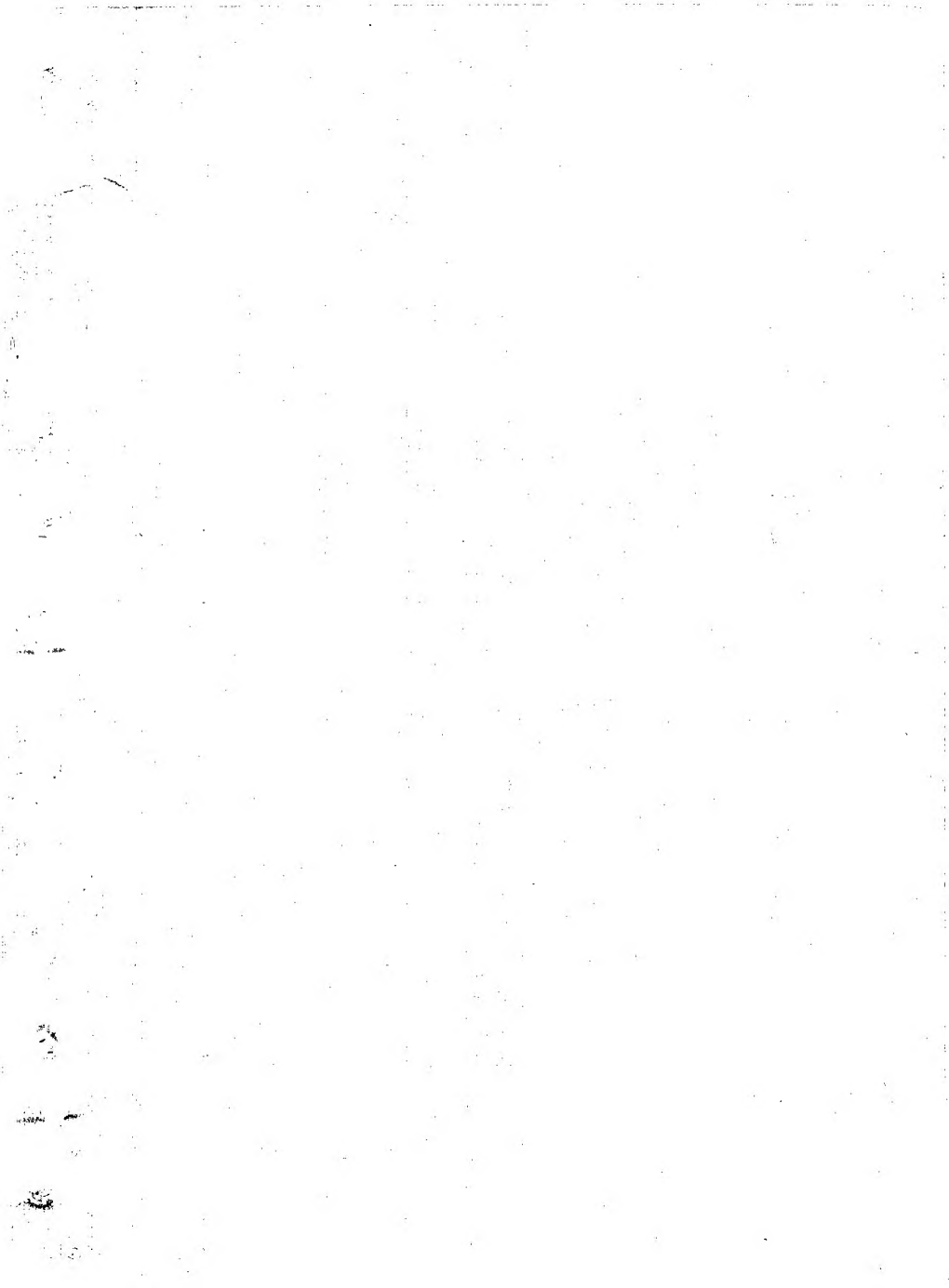
٥٢	يحيى بن سبع يشق عصا الطاعة
٥٤	فتن بسبب امير ينبع
٥٩	تخريب مدينة ينبع
٦١	وقعة السوويق سنة ٩١٢ هـ
٦٥	امارة هجار بن دراج
٦٧	ربط امارة ينبع بشريف مكة
٦٩	ينبع يصح مرفأ رئيساً للمدينة
٧٠	بعض اصلاحات الدولة العثمانية
٧٢	النابلسي يصف ينبع والطريق الموصل اليها
٨٧	ينبع في القرن الثالث عشر» وانظر صفحة ٢٢٩»
٩٤	وصف محمد صادق باشا لها في آخر القرن الثالث عشر
٩٦	ينبع بين شاعرين
٩٦	السيد جعفر البيهقي يهجو (وانظر صفحة ٢٢٦)
١٠٣	عبد الرحيم القفطبي يمدح
١٠٨	ينبع في كتاب مرآة الحرمين
١١٥	الشيخ حافظ وهبه يصفها

الصفحة	
١١٦	<u>الاستاذ مصطفى الدباغ يتحدث عنها</u>
١١٩	<u>الاستاذ عبد الكريم الخطيب يتحدث عنها</u>
١٢١	<u>عقبات تعترض تقدمها العمراني</u>
١٢٣	<u>الاصلاحات تشمل المدينة فتزيل تلك العقبات</u>
١٢٤ - ١٢٥	<u>القسم الثالث : انطباعات خاصة</u>
	وصف البلدة
١٢٨	<u>سكان ينبع</u>
١٢٩	<u>التعليم</u>
١٣٤	<u>ذكريات خاصة</u>
١٣٦	<u>رجال عرفتهم في ينبع</u>
١٤٣	<u>حول الآثار</u>
١٥٢	<u>الدكتور حسين هيكل يصف ينبع</u>
١٥٦	<u>ملحق عن (بلاد جهينة ، ومنازلها القديمة)</u>
١٥٧	<u>آرة - الاجرد</u>
١٦٠	<u>الاشعر</u>
١٦٧	<u>اضم</u>

الصفحة	
١٧٠	بدر - براق حورة - برقة رواوة - بلكثة -
١٧٢	بواط - بوانة -
١٧٣	تيتد - تبرز
١٧٥	الثاجة - تجراجر - الجعلات
١٧٦	الحاضرة - حراض - حرحار
١٧٧	حزرة - حَسْنَا - الحصير
١٧٨	الحوزاء
١٨٢	الدهناء
١٨٥	ذهبان
١٨٦	رشاد - رشد - رَضوى
١٨٨	الروحاء
١٨٩	'سويقة
١٩٠	قصيدة في رثائها
١٩٥	الصفراء
١٩٨	ضاس

طاشا - ظبية - عبائر	١٩٩
عذمر - العرج - عرم - العشيرة	٢٠٠
العيص -	٢٠١
الفرع -	٢٠٣
الفقارة - الفيض - القبلية	٢٠٤
لقنف - منعر	٢٠٧
المرايد	٢٠٩
مُرّ	٢١٠
المروّة (ذو المروّة)	٢١١
مشجر « منتخر »	٢١٨
منشر - ناصفة - النصب - النصب	٢١٩
ودّان	٢٢٠
الوشل - هزّر - يليل	٢٢٣
استدراكات	٢٢٥
١ - الشاعر البيتي	
٢ - جيش محمد علي يعث في ينبع سنة ١٢٢٦	
التصحّيات	٢٣٢
الفهرس	٢٣٤

CV^s

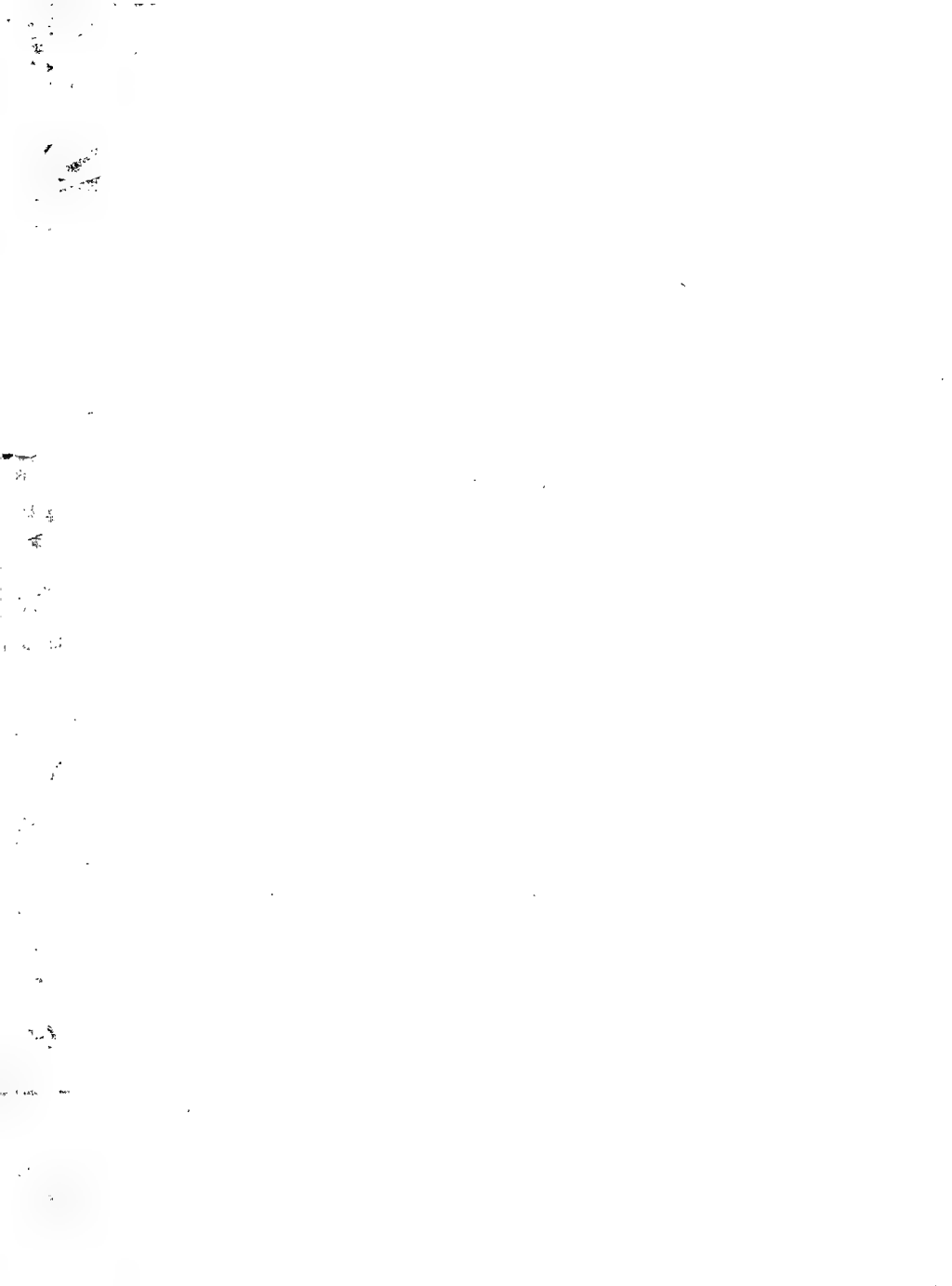


فهرس

هذه معلومات ، تتعلق ببلاد ينسبع ، ليست تاريخاً مسلسل
الحوادث ، مرتب النتائج ، وليست وصفاً شاملاً لما عليه تلك
البلاد من مختلف الاحوال ، من اجتماعية وجغرافية ، واقتصادية .

ولكنها معلومات متفرقة ، سجلتها في فترات مختلفة ، عن
جزء حبيب من بلادنا الكريمة ، اقامت فيه بضع سنوات ، فالفت
الاقامة فيه ، والفت اهله ، واحبيته واحببت اهله ، فعبوت عن
هذه المحبة وعن تلك الالفة ، بتقديم هذه المعلومات لمن يعنيه
البحث في تاريخ تلك البلاد ، لعله يجد فيها ما يدفعه الى
التعمق في البحث لكتابة تاريخها كاملاً .

حمد الحارثي



المقدمة

وقوع هذه البلاد في منطقة تقرب من المدينة المنورة وعلى طريق قوافل قريش التي تتجه الى الشام ابان عصر النبوة، جعل المؤرخين المتقدمين يولونها قدراً يسيراً من العناية، فتورد في كتبهم وفي كتب الجغرافيين المتقدمين اشارات موجزة، وبند قصيرة عنها، عند الحديث عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر سراياه.

ولقربها من المدينة عني جغرافيو العرب بذكر بعض مواضعها باعتبارها معدودة في منطقة المدينة. كما في كتابي «الغنائم المطابة في معالم طابة»، و«وفاء الوفاء في تاريخ دار المصطفى».

وفي كتب الادب طرف من انباء تلك البلاد، ذلك ان شاعراً من ابرز شعراء العهد الاموي ملأ شعره باسماء مواضع في جهات ينبع، منها، وبقرها، هو الشاعر كثير، فعني سراج

شعره كابن السكيت وغيره بتعدد بعض تلك المواضع .

ولما أصبح طريق الحج المصري ، يأخذ الساحل . من العقبة الى مكة ، فصار يمر بتلك البلاد ، ورد في كتب الرحلات التي تصف ذلك الطريق معلومات عنها كما في «درر الفوائد المنظمة» في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، للجزيري المصري و «الحقيقة والمجاز» للنبلسي ، وفي رحلي القطبي المكبي ، وكبريت المدني ، وغيرهم .

وقد الف السيوطي رسالة عن ينبع - على ما ذكر القطبي -
الا انها غير معروفة الآن لدي .

تلك هي المصادر التي قد تميد الباحث بشيء من اخبار هذه البلاد وتصف له بعض معالمها ومواضعها .

من بعضها استقيننا المعلومات التي نرى عرضها بنصوصها فائدة للقارئ اكثر مما لو حاولنا تلخيصها وصياغتها صياغة جديدة ، ذلك اننا كثيراً ما نرى من يعمدون الى هذه الطريقة يفهمون من النصوص ما لا تدل عليه ، ويحملونها ما لا تحتمله من المعاني ، يضاف الى هذا ان الباحث قد يحتاج الى معرفة النص لكي يستخلص منه حسب فهمه ، ووفق رغبته ما يريد استخلاصه ، وللقدم للعنيين بتاريخ هذه البلاد اصولاً يرجعون اليها فيما يريدون .

القسم الأول : بلاد نيج النخل

ينبع بصيغة الفعل المضارع ، سمي بذلك لكثرة بناييعه (١)
اي عيونه .

ويطلق هذا الاسم على ناحية واسعة في الحجاز ، غرب المدينة
المنورة ، يميل نحو الشمال وتبعد عنها بمسافة تقرب من مائة
وخمسين كيلا .

وتقع هذه الناحية من خط الشمال العرضي بين الدرجة : -
٢٤ والدرجة ٣٠ / ٢٤ ومن خط الطول (شرق جريبتش)
الدرجة : ٣٨ والدرجة ٣١ / ٣٨ .

ولينبع شهرة كبيرة في كتب التاريخ ، في حوادث صدر الاسلام ،
لوقوعه على طريق القوافل التجارية بين الحجاز وبين الشام ، فكان
وما يقربه من المواضع ميداناً لمناوشات كثيرة بين الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وبين قريش وبعض القبائل التي
كانت تسكن تلك النواحي وكثير منها كان ينتهي بغير
قتال .

ومن تلك الغزوات : غزوة العشيرة وغزوة بواط ، وسرية
العيص

(١) معجم البلدان (مادة ينبع)

ومن ينبع عرف التاريخ عدداً من الرجال المشهورين منهم :
حرمة المدلجى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكشد بن مالك الجهني وابن اخيه اللذين اقطعهما رسول الله
(ص) ينبع .

ومحمد بن صالح الحسني من اهل القرن الثالث الهجري من
(سُويقة) من مشاهير الشجعان ، ومن الشعراء المجيدين ، ترجمه
صاحب الاغانى في (الاغانى) وفي (مقاتل الطالبين) . ومن
شعرائها العباس بن الحسن من اهل القرن الثاني الهجري . ومن
الجغرافيين : مسعر بن مهلهل الخزرجي من اهل القرن الرابع له
رحلة الى بلاد الشرق الاقصى نقل ياقوت قسماً كبيراً منها في
(معجم البلدان) وقد نشرت في مجلد لطيف ، وقد ترجمته بمقال
نشرته مجلة المنهل قبل ربع قرن من الزمن .

والشريف قتادة الذي أسس دولة الاشراف في مكة في القرن
السادس الهجري وله ترجمة في كثير من الكتب التاريخية .

ومن ينبع انتقل جدُّ الاسرة العلوية الحاكمة في المغرب
في القرن السابع

ويرد اسم ينبع في كتب المتأخرين في صور متعددة :
(ينبع) وهو الصواب و (ينبع) و (ينبوع) .
وهما تحريف للاول ، ويكثر هذا في مؤلفات اهل القرن

الثامن الهجري فما بعده كالمقرزي وابن تغري بردي والقطبي
وابن لياس الخنفي ، والنابلسي وغيرهم .

ويطلق اسم ينبع في العهد الحاضر وقبلة بزم من على (ينبع)
الميناء ، واذا اريد ينبع النخل قيل (ينبع النخل) .

الا ان اسم ينبع عند اطلاقه في كتب المتقدمين يقصد به
الاخير ، لان ينبع الميناء او (ينبع البحر) كما يسمى ايضاً ،
كان اقل شهرة بل قل ان يوجد له ذكر في كتب الجغرافية
القديمة كمعجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، باستثناء اشارات
موجزة تشير الى ميناء ينبع ، اشارات غامضة ولا سيما عندما
يكون الحديث في تحديد البحر (بحر القلزم) فيعدون من
موانئه : جدة - الجار - ينبع - مدين - .

وكثيراً ما يحدد الجغرافيون المتقدمون بعض المواضع بأنه في
ينبع او بقربه او منه وهم يقصدون الناحية الواسعة ، وما
ذكروه من المواضع :

● أبار ، وأبير : من اودية الاجرد - جبل جهينة - يصبان
في ينبع . وانظروا وحد وصفاً دقيقاً لجبل الاجرد في معجم ما استعجم
للبيروني ؛ ويظهر انه نقله عن الهجري ، وفاته التنبيه على ذلك

كما فعل فيما نقل من وصف حمى « ضريّة »

● الأشتعر - جبل جبينه المعروف وقد اوفى البكري الكلام عليه وفيما نظن أنه نقله عن الهجري أيضاً بواسطة السكوني، وقد نقل السيد السمودي في « وفاء الوفاء » ان سيل الاجرد ينحدر الى ينبع .

● البثنة : ارض تلقاء سويقة، اعتملها عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب ، بمال امرأته هند بنت ابي عبيدة بن عبدالله بن زمعة ، واجرى عيونها وهي البثنات وكان قبل ان ينكحها مُقلا ، فلما عمرت البثنات قال لها : ما خطوت من البثنة فهو لك ، فمشت طول الحيف في عرض ثلاثة اسطر من النخل ، فهو حق ابنها موسى منه الذي يقال له الشقة الذي خاصمه فيه اخوته من غيرها . قاله البكري

ووهم البكري فقال (بالمدينة) والمتقدمون كثيراً ما يضيفون المواضع المجهولة الى اقرب موضع معروف منها ، وان كان بعيداً عنها .

ولا تزال البثنة معروفة وهي احدى عيون ينبع المشهورة .

● - يرك : قال ابن السكيت في شرح قول كثير :

فقد جعلت اشجان برك يمينها

وذات الشمال من مَرِنخة أشتاما

قال الاشجان : مسايل الماء . وبرك هاهنا نقب يخرج من
ينبع الى المدينة عرضه نحو من اربعة اميال او خمسة ، وكان
يسمى مبركا فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم

● البركة : من عيون ينبع ذكرها الفيروز آبادي . ولا تزال
معروفة .

● وذكر البُغْيَبغة من بلاد ينبع التي كانت لعل بن ابي
طالب رضي الله عنه وهي مجموعة من العيون من اشهرها : خيف
الاراك وخيف ليلي وخيف نسطاس

● البليد : قرية لآل علي ، يدفع واديتها في ينبع ، قال كثير :

نزول بآلى ذي البليد كأنها

صريمة فخل مغطبل شكورها

● بولا : اسم عين العشيخة (وسياقي الكلام عليها) .

● خبزة : حصن من اعمال ينبع

● الخبيب : اسفل سئل ينبع حين واجه البحر .

● تخريق : واد عند الجار متصل بينبع

● الخَضِيرَاءُ : قرية من أعمال يَنْبَع ، بينها وبينه ثلاث مراحل ، ذكرها القطبي في رحلته ، ولها ذكر كثير في كتب الرحلات لوقوعها بطريق الحج .

● خَفِيشَنُ . موضع ذكره كثير في شعره .

وذكر البكري ان لهذا الوادي شعبتين . شعبة تدفع في يَنْبَع ، والاخرى تدفع في الخَشْرَمَةِ ، والخَشْرَمَةُ تدفع في البحر .

● 'سَوَيْقَةُ' . يطلق هذا الاسم على امكنة كثيرة ، ولكن اشهرها 'سَوَيْقَةُ' يَنْبَع لها ذكر كثير في كتب التاريخ والادب لانها كانت من منازل الطالبيين ، الذين قاموا بثورات متعددة على الخلفاء العباسيين في فترات مختلفة من الزمن .

ثم في العصور الاخيرة كانت القبائل التي تسكنها كثيراً ما تقوم ببعض الاعمال التي تعكر صفو الأمن وتُقلقُ ولاية الحجاز او امراء الحج .

ولهذا فقد تعرضت هذه البلدة للتخريب ، وقطع النخيل وهدم البيوت مرات منها :-

١- ما حدث لها بعد القضاء على ثورة النفس الزكية ، محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، الذي ثار

فى المدينة ايام المنصور ^(١) سنة ١٤٥ و قتل فى شهر رمضان من تلك السنة .

وخربت سويقة ، وُعرقب نخلها ، وصودرت اموال محمد وآله من الطالبين .

٢ - عندما ثار محمد بن صالح فى سنة ٢٤٤ (فى عهد الخليفة المتوكل) وجرى لتلك البلدة كما جرى لها فى عهد المنصور - وستأتى الاشارة الى شىء من ذلك .

٣ - فى سنة ١١٠٥ عندما خربها شريف مكة وقطع نخلها - كما جاء فى رحلة التابلسي ، بما سنذكره فيما بعد ومع كل النكبات فقد صمدت وصبرت وبقيت الى عهدنا هذا .

● الصّفراء . نقل ياقوت وغيره ان واديهما يصب فى ينبع واصل هذا القول لعمّام بن الاصبع فى رسالته المعروفة ، ولكن المشاهد فى المصور الجغرافى ان سيلها يصب فى (الرايس) موقع ميناء (الجار) القديم .

● عَبَّائِرٌ ، نَقْبٌ ينحدر من جبل جهينة ، يسلكه من خرج من اضم يريد ينبع ، هو وقاعيس والمناخ ومنزل ، كلها أُنْقُب

(١) انظر تفصيل ثورته فى تاريخي ابن جرير وابن الاثير حوادث سنة ١٤٥

(٢) مقاتل الطالبين « ص ٢٩٨ / ٣٠٤ »

يؤدين الى ينبع ، نقل هذا ياقوت عن ابن السكيت .

● عَرِمٌ ، وادٍ ينحدر من ينبع في قول كثير :-

بَيْضَاءُ مِنْ عُسْلٍ ذَوْرَةَ تَصْرَبِ

سُجَّتْ بِمَاءِ الْقِلَاتِ مِنْ عَرِمِ

ذَوْرَةَ : جَبَلٌ وَعُسْلٌ : جمع عَسَل ، في لغة هذيل ،

وخزاعة وكنانة - كذا نقل ياقوت

● العُشَيْرَةُ ، موضع في ينبع ، غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلق كيداً . وقد اقطع عليه الصلاة والسلام علياً رضي الله عنه بذي العشيرة ، واشتهر هذا الموضع بجودة التمر بحيث يفضل ثمره على سائر تمر الحجاز ، الا الصيحاني بخير ، والبرني والمجوعة بالمدينة .

وقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة العشيرة ثنية بواط ، التي بين الجبلين ، بواط الجلسي ، وبواط الغوري .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي العشيرة "مسجد" كان معروفاً الى عهد قريب .

ويفهم من كلام السيد السهمودي ومن تقدّمه ان عين العشيرة تُعرفُ بعين بؤلاً ، وان رسول الله صلى الله عليه

وسلم صلى في مسجدها ، وهو المعروف بمسجد ينبع ، ومسجد
العشيرة .

ثم أصبحت عَيْنُ بَولا من أملاك علي رضي الله عنه .
وصف البشاري العشيرة بأنها قرية صغيرة على الساحل قبل
ينبع ، عندها نخيلات ، وليس لحانها نظير .

قال الجزيري ^(١) : من أهل القرن العاشر : (ومسجد
العشيرة معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التي ينزلها
الحاج المصري في وروده وصدوره ، والعين اليوم جارية عنده ،
لكن لا تعرف بهذا الاسم) .

— الشَّجِيل - تصغير نجل ^(٢) — من اعراض المدينة من
أسفل ينبع ، قال كثير : —

وحتى أجازت بطن ضاس ودونها
دعان ، فهضبا ذي الشجيل فينبع

● العَلَقِيَّة : منها خرج ولاية مكة في القرن السادس الشريف
قتادة وبنوه فكونوا إمارة كبيرة في مكة .

(١) درر القوائد « ص ٥٣٤ » .

(٢) معجم البلدان .

● عَيْنُ أَبِي نَيْزَرٍ .

● عَيْنُ الْبُحَيْرِ .

● عَيْنُ عَلِيٍّ .

● عَيْنُ نَوْلا (أَوْ بَوَلا)

هذه العيون الأربع من عيون الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه في ينبع ، وقد دَرَسَتْ ، وتغيرت اسماءها ، سوى عَيْنِ عَلِيٍّ ، فلا تزال باقية معروفة ، وقد ذكرها الفيروز آبادي في (المغانم) .

وابو نيزر المنسوبة اليه العين كان من موالي علي رضي الله عنه .

نَغْلَى : - بفتح الحاء واللام - واد كبير ، من اشهر أودية ينبع ، وهو فيما بينها وبين وادي الصفراء ، وقد ذكره ياقوت ، والفيروز آبادي في (المغانم المطابة) والسهودي في (وفاء الوفاء) وغيرهم .

ولا يزال معروفاً ، وكان فيه عدد كبير من العيون منها : البثنة ، والبقاع ، ومدسوس ، ومُدَيْسِيس ، والنَّجِيل - بالجيم - والبسيرة ، ولكن اكثر هذه العيون قد بدأها الخراب .

وقد ذكر البكري (نخل) هذه في (معجم ما استمعجم)
فصحف الاسم الى (تَمَلَى) بالميم بدل الجيم ، ونخل — بالميم
موضع في عالية نجد ، غير هذا الوادي .

وهذا نص كلامه وهو يتحدث عن (الأشعر) جبل
جُهَيْنَةَ : ومن اودية الأشعر القوزية : تَمَلَى ، وهي تصب على
ينبع ، وبها بئران يقال لهما بئرا الصريح ، واحدة لبني زيد بن
خالد الحراميين ، والأخرى للكليبيين وبأسفل تَمَلَى عُيُونُ حُسَيْنِ
بن علي بن حسين ، منها ذات الأسيل ،

وبأسفل تَمَلَى البلدة والبليد ، وبها عينان لبني عبدالله بن
عَنْبَسَةَ بن سعيد بن العاص .

وقد ذكر كُشَيْرُ البليد ، فقال :

فَاتَّبَعْتُهُمْ عَيْنِي حَتَّى تَلَاَحَمَتْ

عَلَيْهَا قَنَانٌ مِنْ « خَفَيْنَن » جُونٌ

وقد حال من حَزَمَ « الحاقَيْن » دوتهم

وأعرض من وادي « البليد » شُجُونٌ

وفاَتَشَكَ ظَعْنُ الحِمَى لما تَقَادَفَتْ

ظُهُورُهَا مِنْ « يَنْبُع » وبطون

انتهى كلام البكري .

● يَلَيْل : ذكر كثير من المتقدمين - عَمرام بن الأصْبَع السامي ، فَمَنْ بعده - أن وادي يَلَيْل يصب في البحر ، عند بَنَبَع ، وأن اعلاه وادي الصَّفراء .

والمعروف أن يَلَيْل هو وادي بَدْر ، ووادي بَدْر يَصْبُ في (الرُّاس) المكان الذي يقع فيه (الجار) ميناء المدينة القديم ، وهو يقع جنوب بَنَبَع ، ولعلَّ المتقدمين لاحظوا شمول بلاد بَنَبَع لمسافة تقرب أو تتصل بتلك الجهة .

هذه بعض الامكنة التي اضافها المتقدمون الى بلاد بَنَبَع لمسافة تقرب أو تتصل بتلك الجهة .

وعدوها منها ، وهم يقصدون - عند الاطلاق ما يعرف الآن باسم (بَنَبَع النخل) أو (بَنَبَع النخيل) كما ذكر الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب »

وستفصل بعض اخبارها مما وصل اليها - فيما بعد - .



ينبع النخل : - ناحية واسعة ، فيها قرى ، وأودية ، وعيون
 ماؤها عذب ، نقل البكري ان محمد بن عبد المجيد الصباح زعم
 أن بها مائة عين الا عينا ، وذكر ياقوت عن الشريف ابن سلمة
 بن عيتاش الينبعي انه قال : عددت بها مائة وسبعين عيناً .
 وكانت ينبع من بلاد جهينة ، فلما اخذها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اقطعها رجلاً منهم يدعى كُشْدَنَ بن مالك ، كان
 اجار طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد صاحبي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عندما ارسلهما يتروقبان غير قريش العائدة من
 الشام ، وفيها ابو سفيان .

ثم اشتراها عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة الانصاري
 بثلاثين الفاً ، فلما اقام بها استوبأها ورمدها ، فرجع عنها
 فاشتراها علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، واشتهر لعلي فيها
 ضيعتان : البُغْيَسْفَةُ ، وَعَيْنُ ابي نَيزَر - نسبة الى مولى
 لعلي رضي الله عنه ، اشتراه بمكة ثم اعتقه فأسلم وعاش في بيت
 فاطمة رضي الله عنها ، وكان يقوم على مال علي في ينبع - قال
 ابو نيزر : جاءني علي وانا اقوم بالضيعتين ، عين ابي نَيزَر ،
 والبُغْيَسْفَةُ ، فقال : هل عندك من طعام ، قلت : طعام لا
 أَرْضاهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَرَعَ من قَرَعِ الضَّيْعَةِ ، صنعتها
 باهالة سَخِخَةٍ ، فقال : عَلِيٌّ بِهِ ، ثم قام الى النهر فغسل
 يديه ، ثم أصاب من الطعام شيئاً ، ثم رجع الى النهر فغسل
 يديه بالرمل حتى انقاهما ، ثم شرب بهما من الماء وقال : يا ابا

نيزر ، إن الأَكْفَ أَنْظَفُ الآتِيَةِ ، ثم مسح كَفَّيْهِ عَلَى بطنِهِ
 وقال : من ادخله بطنُهُ النَّارَ فأبعده الله ، ثم اخذ المِوَلَّ ،
 وانحدرَ فِي العَيْنِ ، وجعل يضرب وابطأَ عَلَيْهِ المَاءُ ، فخرج وقد
 تَفَضَّخَ جَبِينُهُ عَرَقًا ، فانتكف العرق عن جَبِينِهِ ، ثم اخذ
 المِوَلَّ ، وعاد إِلَى العَيْنِ ، وأقبل يضرب فِيهَا ، وجعل يُهَمِّمُهُمْ ،
 فاثالثت كأنها مُعْتَقٌ جَزُورٍ ، فخرج مسرعًا ، وقال : أشهد
 الله أنها صدقةٌ ، عليَّ بدواةٍ وصحيفةٍ ، قال : فَعَجِلْتُ بِهِمَا
 إِلَيْهِ .

فكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا ما تصدق بِهِ
 عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضعيفتين المعروفتين بعَيْنِ
 أَبِي نِزَرٍ ، وَالبُعْثِيفَةِ ، عَلَى فقراء المدينة وابن السبيل ،
 لِيَقِيَّ اللَّهُ بِهِمَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا تُبَاعَا ،
 وَلَا تَوْرَثَا ، حَتَّى يَرْتَهُمَا اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، إِلَّا أَنْ
 يَحْتَاجَ إِلَيْهِمَا الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ ، فَهُمَا طَلَقٌ لهُمَا ، لَيْسَ
 لِأَحَدٍ غَيْرِهِمَا .

وذكر المبرد فِي الكَامِلِ : أَنَّ الحُسَيْنَ رَكِبَهُ دِينَ ، فَعَرَضَ
 عَلَيْهِ معاويةُ بَعِينَ أَبِي نِزَرٍ مَائَتِي ألف دينار ، فَأَبَى أَنْ
 يَبِيعَهَا .

وكان وقف علي رضي الله عنه لها فِي السنة الثانية
 مِنْ خِلافَتِهِ .

وفي عهد معاوية اراد من عبد الله بن جعفر ان يزوج ابنته

ليزيد بن معاوية ، ولكن الحسين بن علي رضي الله عنهما -
وهو خالها - رفض ذلك وزوجها ابن عمها القاسم بن محمد بن
جعفر ، وأصدقها البقيثبات .

وفي سنة ١٤٥ خرج محمد بن عبدالله بن الحسن في المدينة على
المنصور فأرسل اليه جيشاً قضى على ثورته ، وصادر أموال بني
حسن وبني جعفر - ومنها املاكهم في ينبع - فسأل جعفر
الصادق المنصور ان يرد عليه عين ابي زياد فأبى .

وفي عهد المهدي رُدَّت الى اصحابها فلم تزل في يد آل عبدالله
بن جعفر يتوارثونها ، من ناحية ام كلثوم بنت عبدالله بن
جعفر ، يتوارثونها، حتى استخلف المأمون ، فبلغه ذلك ، فقال :
كلاء ، هذه وقف علي بن ابي طالب على ولد فاطمة ، فانتزعها
من ايديهم وعوضهم عنها ، وردّها الى ما كانت عليه .

وفي سنة ٢٤٤ في عهد الخليفة المتوكل خرج عليه (٢) محمد بن
صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسين

(١) تاريخ ابن جرير « حوادث سنة ١٤٥ »

(٢) مقاتل الطالبين « ٦٠٠ » معجم البلدان « مادة سوقة » وسمط

النجوم العوالي « ١٧١/٤ » .

بن علي رضي الله عنهما فانفذ اليه ابا الساج^(١) في جيش ضخم ،
 فظفر به ، وبجماعة من اهله فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم ،
 واخرب سويقة ، وهبي منزلهم ، وكانت من جملة صدقات علي بن
 ابي طالب رضي الله عنه ، وعقر بها نخلا كثيراً ، وخرب
 منازلهم ، وحمل محمد بن صالح الى سامراء .

— قال ياقوت بعد سياق ما تقدم — : وما اظن سويقة بعد
 ذلك أفلحت .

ومحمد بن صالح هذا من فتيان آل ابي طالب . وفناكهم
 وشجعانهم ، وشعرائهم ، حبسه المتوكل في (سر من رأى)
 ثلاث سنين ثم اطلقه ، ومات في ايام المقتدر .

وقد اورد الاصفهاني طائفة من شعره ، في (مقاتل
 الطالبين^(٢)) وترجه في (الاغانى^(٣)) ترجمة مطولة .

وذكر البكري عن اسماعيل بن جعفر قال : لقيني موسى
 بن عبد الله فقال لي هلم حتى أريك ما صنع بنا في سويقة ،
 فانطلقت معه فاذا بنخلها قد عضيذ من آخره ، ومصانعها قد
 خربت ، فخنقتني العبرة ، فقال : إليك ، فنحن والله كما

(١) ابو الساج ولاء المتوكل طريق مكة سنة ٢٤٤ « ابن الأثير »

(٢) مقال الطالبين « ٦١٦/٦٠٠ » .

(٣) الاغانى « ٨٨/١٥ » .

قال دريدُ بن الصُّعْتَةِ :

يقولُ : ألا تبكي اخاك ؟ وقد أرى

مكانَ البُكا ، لكنَّ جُبلتُ على الصَّبْرِ

(من قصيدة طويلة اوردها الاصفهاني في مقاتل الطالبين -

ص ٢٩٨) .

وقال سعيد بن عقبة^(١) : نزلت ببطحاء سويقة ، فاستوحشت

لحرابيها ، الى ان خرج ضبع من دار عبدالله بن حسن فقلت : -

لاني مَرَرْتُ على دار فأحزنتني

لما مَرَرْتُ عليها ، مَنْظَرُ الدَّارِ

وَحَشَاءُ ، خَرَّاباً ، كَانَ لَمْ تَغْنِ عَامِرَةً

بَخَيْرِ أَهْلِ ، لِمُعْتَدٍ ، وَزُؤَارِ

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ قوماً كَانَتْ يَجْمَعُهُمْ

جَنْباً «سَوِيْقَةً» ، أَخِيَاراً لِأَخْيَارِ

الرَّافِعِينَ لِسَارِي اللَّيْلِ نَارَهُمْ

حَتَّى يَوْمٌ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّارِ

(١) معجم ما أستمجم « ص ٧٦٨ »

والدافعين عن المحتاج خَلَّتْهُ
حَتَّى يَحْضُرَ الْغِنَى ، مِنْ بَعْدِ إِقْتَادِرِ

ومن اموال علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - العُشْبيرة
من ينبع ، وهي التي سميت الغزوة باسمها ، وكان موقعها
بقرب عين البركة ، بل كانت عين البركة من بقية عيونها ،
كما يفهم من كلام الفيروز آبادي في كتاب (المغامم) .

واقطع الخليفة عمر بن الخطاب الامام علياً رضي الله عنها
قطائع اخرى في ينبع ، واشترى امكنة اخرى فيها .

وقد استوطن علي رضي الله عنه ينبع ، قبل أن يلي
الخلافة ، وكان بها معجباً ، ويروون عنه انه نظر الى جبالها
فقال : لقد وضعت على نقب من الماء عظيم .

ثم استوطن بنوه واحفاده الحسينيون تلك الجهات ، وانتشروا
وكثروا فيها ، وملكوا عيون ينبع ، ومزارعه .

ووصف البشاري* في القرن الرابع الهجري ينبع بأنها أعمر
من المدينة فقال : (ينبع كبيرة جليلة ، حصينة الجدار ، غزيرة
الماء ، أعمر من يثرب ، وأكثر نخيلاً ، حسنة الحصن ، حارة

(١) درر القوائد (٥٣٤) رحلة الشتاء والصيف (١١)

السوق^(١) وعامة من يتسوق بالمدينة في الموسم منها ، لها بابان ،
الجامع عند أحدهما ، الغالب عليها بنو الحسن) ، انتهى كلام
البشاري .

وقد قامت للحسينيين دولة في القرن السادس الهجري ، كان
من أشهر رجالها الشريف قتادة جد ولاية مكة من الاشراف في
العهد الاخير .

وكان قتادة وذووه يسكنون في (العلقمية^(٢)) من
عيون ينبع المعروفة الآن ، وقد سار قتادة بعد ان ملك ينبع
والصفراء وما حولهما من البلاد الى مكة ، فانتزعها من حكامها
المواشم ، وخطب للناصر العباسي ، وفي سنة ٦١٧ قتل قتادة
هذا قتله ابنه حسن وتولى بعده ، واستمر حكمه في مكة
ونواحيها مع استقراره في ينبع ، ثم ملك بعده راجع بن قتادة ،
فالحسن بن علي بن قتادة . ومنه في سنة ٦٢١ اشترى سلطان
اليمن نور الدين علي بن رسول قلعة ينبع^(٣)

وقد استمر الملك في آل قتادة يتوارثونه حقبة من الزمان ،

(١) يعبر كثيراً بحرارة السوق ويقصد قوة الحركة فيه .

(٢) سبط النجوم (٢٠٧/٤)

(٣) سبط النجوم (٢١٩/٤) . السلوك للمقرئزي (٢١٥/١)

واتخذوا من وادي ينبع حصناً لهم يلجأون اليه كلما دهمهم
 عدو قوي ، وكانوا يستعينون بسكان تلك الجهات من البوادي
 حتى قويت شوكتهم ، وحالفهم وانضم اليهم أفخاذ كثيرة من
 قبيلة جهينة ، صاروا يعرفون ببني ابراهيم لمخالفتهم لبني ابراهيم
 بن اخي النفس الزكية - من الاشراف الحسينيين ، وصار لبني
 ابراهيم صولة في القرن العاشر الهجري وما بعده - تأتي الاشارة
 الى بعضها في موضع آخر -

ولوقوع ينبع في طريق الحجاج الذين يقدمون من مصر ،
 فانه في عهد دولة المماليك واستيلائها على الحجاز ، وضعت ضريبة
 تؤخذ من امير ينبع ، وتدفع للعربان الذين يحافظون على حماية
 ركب الحج . ولم تلغ هذه الضريبة الا في سنة ٤٤ هـ (١)

ونجد في كتاب (درر الفوائد) بياناً لمقدار هذه الضريبة ،
 وكيفية توزيعها على النحو الآتي . يؤخذ من امير ينبع مائتي
 دينار ، تصرف :

٦٥ ديناراً للاحامدة من قبيلة بلي

٥٨ » لبني عطية

٤٠ » لبني عتبة

(١) درر الفوائد (٣٢٨)

١٧ « لبني حسان ، أصحاب سقاية » نَبَط ، محطة
للحجاج فيما بين ينبع وبين الحوراء لا تزال معروفة .

٢٠ ديناراً لبني زبيد .

وعلى امير ينبع - ايضاً ضريبة أخرى لأمير الحج ،
واصحابه ، تقرب من ثلاثمائة دينار في السنة ، هي كما اوضحها
الجزيري ^(١) .

٢٥ للدلاء (جمع دليل)

٣٠ الدوادار (رئيس الكتاب)

٢٥ الخازن دار (امين الصر)

٢٠ أصحاب الديوان

١٠ القاضي

١٥ الشاوشية (الضباط)

٢٠ صاحب المطبخ وخدمه

١٠ حامل الصنّيق (العلم)

٢٤ حاملي الهدية الى امير الحاج

١٠٠ بقية جماعة امراء الحاج (وقد فصلهم الجزيري)

(١) درر الفوائد « ص ٥٣٦ » .

و كثيراً ما تعرض الحجاج - اثناء ضعف الحكم - لاذى
امراء ينبع انفسهم .

ولا ذى البدو ، الذين تقسو عليهم الحياة فتضطربهم الى
ارتكاب بعض الافعال السيئة مع حجاج بيت الله الحرام ،
وهذا يفسر لنا بعض ما نقرأه في كثير من كتب الرحلات
والجغرافية من وصف سكان هذه الناحية بصفات لا تليق بهم
ومن ذلك قول الشيخ ابي بكر احمد بن هارون في وصف ينبع
في اول القرن العاشر الهجري (١) : (ينبع : من اعظم مدن
الحجاز ، الا انها صغيرة ، وهي بندر التجار ، ومحل المكاسب ،
ولها امير مثل مكة ، وبها دور واسعة ، وحواصل ، ودكاكين ،
وسرحات ، وبساقين وزروع ، وعيون واشجار ، ونخل ،
واهلها ينسبون الى بخل زائد ، حتى قال فيهم القائل :

يا اهل ينبع انتم اَخْسُ ما في البرية
لاحرف يقرأ ، ومع ذا لكم (عيون) قويه

انتهى ، وكذب هذا الشاعر ففهم سادة كرماء ، وذوو فضل
وحسب وكرم خلال ، وما زالت الاشراف تهجى وتمدح .

(١) كتاب « روضة الازهار ، في عجائب الاقطار » الف سنة ٨٩٢٢
النسخة الكتانية « الرباط » رقم ٢٣٨١ .

ولعل من اهم اسباب اختلال الأمن ، والتعرض للحجاج ، هو سوء ادارة الولاة الذين تختارهم الدولة ، وبعدهم عن العرب بُعداً يجعلهم لا يفهمون نفسياتهم ، ولا ينظرون اليهم نظرة عطف ورعاية .

ولو تعمق الباحث في دراسة اسباب جميع الحوادث التي كانت تقع من العرب مع الحجاج او الولاة ، مما يخل بالأمن ، لادرك ان قبة كثير منها - بل كلها - تقع على الدولة الحاكمة نفسها .

في سنة ٧٨٥ هـ نزل امير ينبع الشريف سعد بن ابي الغيث الحسيني على حاج المغاربة في العقيق ، فسألهم ان يعطوه شيئاً فأمسكوه وربطوه معهم ماشياً ، فأتاهم كثير من عربيه فقاتلوهم فقتل من حجاج المغاربة عدد كثير ، واقتل منهم الشريف سعد ، فادر كهم حجاج التكرور ، وقاتلوهم ، فقتل كثير من التكرور وأخذت أموالهم ، وأموال من كان معهم من الصعايدة وغيرهم - كذا قال الجزيري ^(١) .

وفي سنة ٨٧٩ عزل سلطان مصر امير ينبع سبغاً عن الامارة ، وفوضها لرأي شريف مكة .

وفي سنة ٩٠٣ هـ ولي امرة ينبع يحيى بن سبع ، في ٤ جمادي

(١) درر الفوائد « ص ٣١٣ »

الآخرة (١) .

وفي عهد هذا الامير اشتد أذى عربان ينبع للحجاج وامتد حتى صاروا يقومون بنهب امهات المدن في الحجاز ، وانضم بجي بن سبيع وقومه الى احد الاشراف حتى تولى مكة ، فحصل عبث كثير في داخل مكة ، وانتشرت شرور الاعراب فأمر السلطان بارسال جيش عظيم من مصر ، التقى مع ابن سبيع وقومه في السويق ، - كما ستأتي زيادة ايضاح له - ، وهزمهم شر هزيمة ، وذلك في شهر شوال سنة ٩١٢ هـ .

وقد مرّ الجزيري بينبع في سنة ٩٥٩ - وكان يتولى ديوان أمير الحمل المصري ، فوصفها وصفاً يحسن ايراده بنصه ، قال (٢) :
(وينبع الربع الرابع من أرباع الحجاز - الاول من القاهرة الى العقبة ، والثاني من العقبة الى الازلم ، والثالث من الازلم الى ينبع ، والرابع من ينبع الى مكة - يدخلونه ضحى يوم السادس عشر من عقبة أيلة .

وبها مياه جارية ، ونخيل وزروع ، وبها جامعان معطلان من الخطبة ، وغالب اهل القرية على مذهب الزيدية ، والجامعان

(١) سبط النجوم للعصامي « ٤ ، ٣٠١ »

(٢) درر الفوائد « ص ٥٣٥ »

انشاء الشريف حلام بن اجود من امراء ينبع سنة ٨٥٢ ، واذانهم
بحمي على خير العمل .

وبينبع عين جارية حلوة من خارج البلد مشرقها قمر
بالمدينة ، وقدها عيون اخرى الى غربي المدينة ، وداخلها سوق
به بعض دكاكين وصاغة ، وحوانيت ، يفرش بها التجار انواع
القماش ايام الموسم ، للبيع على اهل القرية ، والواردين اليها .
وبها الحدائق والحانات والافران والبيوت ، وقد خربت ودمرت
منها اماكن كثيرة ، وانشأ بها صاحبنا السيد الشريف دراج بن
هجر بن معزي بن دراج بن وبيرو اميرها بيتاً حسناً
ويجانبه داراً اخرى لسكنى ولده الشريف علي المدعو دغيب
وذلك في سنة ٩٥٩ هـ ولم يكن بالينبع اليوم داراً احسن منها .
وينصب بخارجها ايام الموسم سوق فيه من المأكولات
والدقيق والفول والبضائع والعليق .

وبهذه القرية يدع اهل الركب ودائعهم الى العود ، في بيوت
الثقات .

وقاضيا الآن صاحبنا الشيخ برهان الدين ابراهيم ابن يحيى
بن محمد بن عبد الوهاب بن شمس الدين محمد بن احمد بن
زبالة الشافعي ، وليس في القرية فيما يظهر لي شافعي من اهل
السنة والجماعة غيره ، فان غالب اهل قرى الحجاز على مذهب

الزيدية ، يستبيحون (١) دماء الشافعية .

وعلى مرحلة منها البندر الذي بساحل البحر الملح غرباً ، وبه خان وحصار ، وجماعة الشريف يأخذون الزالة من اهل المراكب المارة بهذا البندر ، وهي عادة لأمير الينبع ، يستعين بها على امرته ، على كل حمل ثمانية انصاف من الفضة .

واهل الركب يستبشرون بالقرب من ام القرى عند وصولهم الى ينبع ، فمنهم من يجتمع مع احابائه واصحابه عند العيون والحدائق والنخل هناك ، ويطبخون النبت المعروف بالملوخية ، وياً كلون بمسرة وهناء .

وفي غالب اوقات اقامات الركب بالينبع تهب رياح شديدة ، ويثور عليهم من سافي الرمل والتراب ما يتمنى معه المسافر عدم إقامته بها ، كما يقع ذلك كثيراً ايضاً بمنزلة رابغ .

والينبع من المناهل الكبار ، يصل الى امير الحاج ما تجهزه من حموله واحتياجه ، ليأخذ منه ما يكفيه الى مكة المشرفة

(١) هذه فرية على الزيدية، واليمن وحكامه زيديون وكثير من سكانه من الشوافع .

وما يحتاجه لطريق الزيارة الشريفة ولرجوعه منها الى الازل^(١) ،
وما فاض عن ذلك يباع للتوسعة على المقومين والحجاج ، ليحصل
الرفق لأهل الركب ، خصوصاً ان كف امير الحاج عن الباعة
من اهل القرية ، ولم يمنعهم عن البيع ، الا بعد فراغ
ما عنده ، فيكون سبباً لرخاء الاسعار بها ، خلافاً لما يفعله
بعض الطماعة من امراء زماننا الذين لا اخلاق لهم ، فيكون
سبباً للفلاء والقعوط .

وعادة الاقامة بها لراحة الحجاج ثلاثة ايام انتهى .

وقد وصف قطب الدين المكني المؤرخ ينبع ، وما شاهد
من طريقة احتفاء اميرها بالمحمل حيناً^(٢) في ٢٣ ذى القعدة
سنة ٩٦٥ فقال في رحلته^(٣) ، (المنزل الثالث والاربعون : جبل
الزينة ، وهو موضع مشرف على ينبع ، وصله قبل الفجر ،
وخرج اليه على العادة صاحب ينبع ، في زينته وقواده ، ومن
معه ، وهو السيد دراج بن هجار ، فاجتمع بأمر الحاج ، وزين
المحمل ، والمسكر واوقفوا المحمل ، فوضع له سجادة بين يدي
جل المحمل ، فصلى عليها ركعتين ، ثم تقدم الى رحل جبل المحمل ،
ووضع عليه منديل ، وطأطأ اليه ، كانه يقبله ، وهذا رسم

(١) منهل معروف بين الوجه وظبا .

(٢) الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية « مخطوط » .

قديم ، اعتاده امراء الينبع ، ثم ركب فرسه ، ولبس خلعتة ،
هو وولده ، وقاضي الينبع ، ومشى الى جانب امير الحاج أمام
المحمل ، ودخل الينبع بهذه الصفة .

المنزل الرابع والاربعون : الينْبَعُ ، دخلنا ضحى يوم
الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة ، وأقام ذلك اليوم واليوم
الذي بعده ، وارسل السيد دراج قاصداً على عادته الى
مكة .

وينبع فعل مضارع ، ماضيه نَبَعَ صار علماً على عدة عيون ،
في هذا المكاث ، وبها خيوفٌ خرب أكثرها ، وهي ولاية
مستقلة ، يُوليها صاحب مكة من اراد من اشراف الينبع ، وهم
الآن ذوي هجار ، وكبيرهم الذي ذكرناه آنفاً ، مولانا السيد
دراج بن هجار بن مُعَزِّي بن دراج بن وبيتر .

وشرفاء ينبع يقال لهم بنو ابراهيم ، وهم فخذ من بني حسن
ومنهم جد صاحب مكة ، الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن
أخذ مكة من طائفة اخرى من بني حسن يقال لهم الهواشم .

ولينبع قاضٍ شافعي المذهب من بني زُبالة ، من اهل
المدينة الشريفة ، وكان آخرهم القاضي ابراهيم بن يحيى بن محمد
بن عبد الوهاب بن محمد بن احمد بن زُبالة ، عزله الافندي عبد
الرحمن قاضي المدينة ، لما استولت قضاة الاروام بالمدينة الشريفة

فتوجه ابراهيم الى المدينة ، واستمر بها الى ان توفي—رحمه الله—
وحول ينبع عيون كثيرة ، يقال انها خمسون عيناً او اكثر.
وبها الآن عين يقال انها لسيدنا علي رضي الله عنه ، وعين
اخرى يقال انها لسيدنا الحسن ، واخرى لسيدنا الحسين
رضي الله عنهما .

وسمعت من حكى انه عد مائة وسبعين عيناً بالينبع الى ان
قال : وللجلال السيوطي تاليف مستقل في ينبع .

وقال الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد الحنفي ، في كتابه
طريق الحج^(١) : - (ثم الرحيل من دار البقر ، الى منزلة تعرف بمدينة
(الينبوع) وهي منزلة متسعة ، يوجد فيها غالب ما يحتاجه الانسان ،
من اللبن والتمر ، والزبد والعجوة ، والبطيخ الاصفر ، والزرع
والمرعى ، والحضارات والباذنجان واللبن والريحان ، والخطب
فيها قليل ، ويوجد في المنزلة غبار ، وشعث كثير ، وعقارب
سود مؤذية .

ويشتري منها الحجاج الطيب والبخور ، وفيها يدبغ الادبج^٢
ويشتري منها ، ويودع الحجاج فيها الودائع ، وفيها عيون ماء
تجري ، وحدائق ، وفيها اقامة سلطانها ، وهو شريف .
وبالقرب منها جبال صغار ، ووراءها جبل عال يعرف

(١) منازل الحج « ص ١٤ » نسخة مكتبة الاوقاف في حلب »

برضوى ، وارضها رملة ، وينصب فيها سوق كبير للسوقة ،
وآخر للتجارة ، وحياض الماء تضرب على طول العين الخارجة من
المدينة بالقرب منها ، واهلها اجواد ، يحبون الحجاج ويفرحون
بهم ، ويطلبون منهم خيط الخياطة ، والابر ، ويتداونون
بزادهم ، وغالب ما تكون الاقامة بها في الذهاب اربعة ايام)
انتهى .

وفي سنة ١١٠٥ (الف ومائة وخمس) تعرضت قرى ينبع
لكارثة مماثلة لما حدث لها في القرن الثالث الهجري ، فقد غزاها
شريف مكة سعد بن زيد ، وهزم سكانها وقام باحراق القرى ،
وعقر النخيل وها هو الشيخ عبد الغني النابلسي يصف ما
شاهده : (وفي يوم الاحد ٢٢ شعبان (١١٠٥) ركبنا مع
الشريف الى ان وصلنا قرية من قرى ينبع النخل تسمى سويقة ،
من منازل بني ابراهيم اخي النفس الزكية ، وقد وجدناها خالية
ليس بها احد ، وقد رحل اهلها ، وخرجوا على الشريف سعد بن
زيد لانهم حالفوا قبائل حرب ، فذهبوا معهم يساعدونهم على
قتاله - وهذه القرية فيها ماء جار ، ونخل كثير . وكان له حمل
كثير في هذه السنة ، والعراجين بعد ما نضج بسرها ،
فجلسنا على حافة ذلك الماء الجاري ، وشربنا القهوة ، مع
الشريف وولده .

وقد أمر - حفظه الله ! - بحرق بيوت القرية ، واثماً لنرى النار تتأجج في جدرانها التي من اخشاب النخل اليابس ، والهواء يزيدُها تأججاً والتهاباً . وقد امر بقطع النخيل فيصعدُ العبدُ الأسودُ الى أعلى النخلة فيقطعُ 'جَمَارَها' وعراجينها ، فتسقط العراجينُ الى الارضِ كل عرجون فيه البُسْرُ الاخضرُ الذي لم ينضج ، مقدار العشرة الارطال الشاميّةِ او اكثر او اقل (١) .

ان تاريخ بلاد ينبع هو تاريخ سكانها ، وسكان هذا الاقليم كما هو معروف من اقدم الازمنة .

وقبيلة 'جُهَيْنَة' ، وهي قبيلة من اعظم قبائل العرب ، واقواها ولها تاريخ حافل لا تتسع هذه الصفحات القليلة لايضاحه ، ويحد القارئ بحثاً يتعلق بهذه القبيلة في مجلة العرب (٢) ، قد يعطي فكرة جملة - وان لم تكن كاملة - عن بعض احوالها مما يتصل اتصالاً وثيقاً بتاريخ هذه البلاد ، ويعتبر جزءاً مكملًا لذلك التاريخ .

ان كثرة الفتن وتوالي الحروب ، صرفت سكان وادي ينبع عن العناية بالزراعة ، وفي اول العهد السعودي بعد استتباب

(١) رحلة النابلسي « الورقة ٢٣ وما بعدها نسخة فينتة » .

(٢) مجلة العرب « الجزء الثالث من المجلد الاول وما بعده »

الامن وانتشار العدل ، نشطت حركة الزراعة ، فانتعشت حالة البلاد بصفة عامة ، وكانت حاصلات ذلك الوادي من التمر ومن الحنّاء تزيد عن حاجة البلاد ، بحيث كان يصدر الى مصر من الحنّاء كمية كبيرة تحمل بالسفن الشراعية ، وبالباخرة الى السويس مع حاصلات اخرى من القمح وغيره .

وفيا يلي اسماء اهم قرى ينبع النخل ، ومقدار زكاة حاصلاتها من التمر في عام ١٣٦٣ : — مرتبة على حروف الهجاء :

- ١ — البَشَنَةُ — لجهينة — ١٩٧٠ أقة
- ٢ — البركة — للاشراف — ٢٥٠ أقة^(١)
- ٣ — البيقاع — لجهينة — ٠٠٠
- ٤ — الجابرية — — ١٥٠٦
- ٥ — السكوبية — — ٠٤٢٥
- ٦ — السويق — —

(١) عين البركة هذه من اقدم عيون ينبع ، وهي احدى عيون العشيرة التي لها ذكر كثير في كتب السيرة ، وقد درست العشيرة وموقعها فيما بين البركة وبين البحر .

- ١٥٥٨ ١ - خَيْفُ حُسَيْن ٠
 ٠٩٩٤ ٢ - عَيْنُ حَسَن ٠
 ٢٤٨٨ ٣ - الْفِجَّةُ ٠
 ٧ - مُوَيْقَةُ ٠ : حَرْب

- ٥٠٩٥ ١ - عَيْنُ جَدِيد ٠
 ١٥٥٩ ٢ - الْحَارِثِيَّةُ ٠
 ١٨٧٠ ٣ - خَيْفُ فَاضِل ٠
 ١٦٦٣ ٨ - سَعْنَاءُ - ٠
 ١٧١١ ٩ - الْعَلْقَمِيَّةُ - الْجَبِينَةُ

والعلقمية بلدة الشريف قتادة وذووه الذين حكموا مكة من
 القرن السابع الهجري الى القرن الرابع عشر .

- ٢٤٨٨ ١٠ - عَيْنُ حَسَن ٠
 ٠٦٨٠ ١١ - عَيْنُ سَلْمَانَ ٠
 ٢٩٨٦ ١٢ - عَيْنُ عَجَلَانَ ٠
 ١٩٢٥ ١٣ - عَيْنُ عَلِي الْجُهَنِيَّةُ
 ٢٣١٠ ١٤ - الْحَرَبِيَّةُ ٠ ٠

٠٨٤٢	١٥ - عين النوى	لجنة
١١٣٤	١٦ - القرية	- للاشراف -
٠٩٦٨	١٧ - المبارك	- لجنة -
٠١٥٨	١٨ - مدسوس	- » -
١٤٤٠	١٩ - المزرعة	- للاشراف -
٠٠٨٤	٢٠ - الشجيل	- » -
١٥٣٤	٢١ - السيرة	- » -

هذه المقادير للزكاة هي باعتبار عشر المحصول ، بصورة تقريبية بطريقة الحرص الذي يقدره عمال الزكاة ، وفي الغالب لا يزيد على المقدار الحقيقي بل يقل .

وبلدة (السويق) في العصر الحاضر هي مقر الامارة في ينبع النخل ، وقد اصبحت في الزمن الاخير تابعة لامارة (ينبع) التي هي الميناء ، والتي اصبحت قاعدة تلك الناحية (وسياقي الحديث عنها مفصلاً)

ثم ادركت البلاد حركة ركود شامل بسبب انصراف الحجاج عن النزول في ميناء ينبع وانعزال واردات المدينة من الخارج الى ميناء جدة بعد تقويتها فنشأ عن هذا ان ضعفت حالة البلاد الاقتصادية بصفة عامة ، وانتقل اكثر اهل ينبع الى جدة والى المدينة والى غيرها من مدن المملكة .

وضعفت حركة الزراعة ، وتوالى الجذب فقلت المياه ، ونضبت عيون كثيرة .

ولئن كان هذا الامر يوشك ان يكون عاماً - في جهات كثيرة من البلاد - فان الآمال القويّة ، والنشاط المتواصل المبذول من أهل هذه البلاد ، ومن رجال الدولة مما يحمل على الاعتقاد بأن ستنال هذه البلاد من حسن الرعاية ومن الاتجاه الى اصلاح جميع مرافقها الحيوية ، ما يُهيّئ لها حياة كريمة ، وما يمكنها من مجازاة ركب التقدم ، الذي شمل جميع نواحي المملكة ، في هذا العهد الميمون .

وما هي تباشير الاصلاح تبدو فيما تبدله الحكومة من اصلاح الميناء بتوسيعه ، وبتهيئة وسائل الراحة لسكانه ، وباتخاذ مختلف الوسائل التي تعيد لذلك الاقليم حياة رخاء ورفاهية واستقرار .



القسم الثاني: مدينة ينبع البحر

ينبع البحر : تضاف الى البحر للتفريق بينها وبين ينبع
النخل ، ولوقوعها على ساحل البحر .

وتأتي أهمية هذه المدينة بكونها ميناء المدينة ، وكانت الميناء
الثانية في الحجاز .

وليس لها شهرة كبيرة عند المؤرخين في العهود الاسلامية ،
قبل القرن السابع الهجري .

مع ان بعض المستشرقين يرى انها كانت معروفة قبل
الاسلام ، بل قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وانها كانت تسمى
في كتب اليونان القديمة (NERA) او (NEGRA)^(١)

وقد نقل الدكتور جواد على عن (فورستر) ان كلمة
(NERA) اليونانية ، تعنى كلمة « ينبع » العربية . ولذلك
تعني كلمة (NERA KOME) في العربية : « مدينة ينبع » وانها
هي الميناء التي ابهر منها اليونان^(٢)

مع ان الدكتور جوادا^(٣) ذكر ان من الموانئ المعروفة
على شاطئ البحر الاحمر ميناء (EGRA) كان هذا الا

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام » ٣٨٩/٢

(٢) المصدر السابق .

معروفاً في العهد الجاهلي ، في كتب الرومان ومنه كان الرومان
يعودون من جزيرة العرب الى مصر . (١)

وأرى ان هذا هو الميناء الذي نقل الدكتور عن (فورستر)
انه « ينبع » ، وان الاسم 'حرف' بحذف حرف (G) وبزيادة
حرف (N) في اوله ، فاذا صح هذا فان اقرب موضع تنطبق
عليه التسمية والوصف هو (أكره) فيما بين (الوجه) و
(الحوراء) قديما و (املج) حديثاً وكان من اشهر مناهل
طريق الحج المصري ، وله ذكر كثير في كتب الرحلات ،
وخاصة في القرن الثامن فما بعده .

وهذا لا ينفي وجود ميناء ينبع في العهد القديم .

ولما استقر الاسلام ، واصبحت المدينة قاعدته ، كان
المسلمون على صلات قوية ببلاد الحبشة ، فاختاروا ميناء للمدينة
قريبة منها ومن بلاد الحبشة اختاروا (الجار) .

وميناء الجار كان معروفاً في العهد الذي سبق الاسلام الا
انها في العهد الاسلامي في اوله اكتسبت شهرة كبيرة حينما
اصبحت اشهر ميناء في الحجاز .

وتعهدوا الخلفاء ، واهتموا بشأنها بعد فتح مصر ، فقد روى

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام « ٣٨٨/٢ » .

المؤرخون^(١) ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يحمل الطعام منها الى المدينة ، حتى يصل الى ساحل الجار ، فأرسل عمرو طعاماً في عشرين مركباً ، في المركب ثلاثة آلاف اردب ، واقل واكثر حتى وافى الجار ، فخرج الخليفة ومعه جلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدم الجار ، فنظر الى السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام ، وبنى هناك قصرين ، وجعل ذلك الطعام فيها ، ثم أمر زيد بن ثابت ان يكتب للناس صكاً من قراطيس ثم يختتم اسافلها ، فكان اول من صك وختم الصكاك .

اصبحت الجار الفرخة الرئيسية للمدينة وحازت شهرة تاريخية كبيرة ، بحيث كان البحر الاحمر يعرف ببحر الجار^(٢) ، واصبح جغرافيو القرن الثالث الهجري لا يذكرون غيره في ناحيته .

ويصف البشارى الجار في القرن الرابع الهجري فيقول: الجار مدينة محصنة بثلاثة حيطان والرابع البحر ، وبها دور شاهقة ، وسوق عامرة ، وهي خزانة المدينة ومدنها ، يحمل اليها الماء من

(١) تاريخ البعقوبي « ١٥٤/١ »

(٢) معجم البلدان . وابن الفقيه « مختصر البلدان ص ٧٨ » .

بدر ، والطعام من مصر ^(١) .

ولقد ضعف شأن الجار منذ القرن الرابع الهجري ، حيث اختل نظام الامن في الحجاز بضعف الحكم ، فتسلطت الاعراب على الجار بالتهب والسلب ، وقتل أهله .

ويقع الجار في المكان المعروف الآن باسم (الرايس) غرب بلدة (بدر) بميل نحو الشمال ، وكان الماء العذب ينقل اليه من بدر . ويرى بعض الباحثين انه يقع في مكان (ميناء البريكة) الذي لا يزال مستعملاً .

وفي آخر القرن السادس الهجري بدأ امر الجار يضمحل وصار حجاج مصر والمغرب يركبون البحر من عذاب الى ميناء جدة .

وبدأ ميناء ينبع يقوى ، ففي سنة ٦٢١ اراد الايوبيون — وكانوا مسيطرين على الحرمين — ان يجعلوا (ينبع) الميناء الرئيسي للمدينة ، فاشترؤا من الاشراف الحسينيين اهل ينبع النخل باربعة آلاف مثقال ^(٢) ؛ واقاموا فيه بعض الانشاءات .

وبعد تسع سنوات استولى عليه الاشراف الحسينيون ولكنهم

(١) احسن التقاسيم « ص ٨٣ »

(٢) : السلوك للمقرئزي « ٢١٥/١ »

لم يستطيعوا الصمود لقوة الايوبيين ، فاسترجعوه منهم ، وشيدوا فيه قلعة حصينة ، ووضعوا فيه جنداً لحمايته ، وجعلوه من الموانئ الرئيسية ، والميناء الثاني في الحجاز .

فكانوا يرسلون السفن التي تحمل ما يحتاج اليه الحجاج ، وما يريدون توزيعه على المحتاجين من اهل المدينة وغيرهم ، يرسلون ذلك بطريق ميناء ينبع^(١) .

وفي عهد الجراكسة حكام مصر والشام والحرمين ازدادت قوة ميناء ينبع في اول عهد تلك الدولة لقيام بعض حكامها بالعناية بالحرمين الشريفين بالانشاء والتعمير ، مما جعل فرضة ينبع تستقبل الكثير من السفن التي تحمل الرجال والزاد ، للمدينة المنورة ، وما يحتاج اليه امراء الحج^(٢)

وفي آخر عهد الجراكسة في اول القرن العاشر اختل الامن في الحجاز ، وهدمت الفوضى كل جهاته بسبب تنازع اشراف مكة السيادة ، وقام امراء المدينة بالعبث فيها بالنهب والسلب ؛ وتجراً أحدهم على نهب ما في الحجرة النبوية الشريفة من تحف وذخائر ، ولم يستطع رجال الدولة الحاكمة - وهم الجراكسة في مصر - ان يضعوا حداً لتلك الفوضى لضعفهم .

(١) السلوك (٩١٧/١) ودرر الفوائد (٢٨٩) .

(٢) الدرر « ٣٤٤ »

وكان من جراء ذلك ان شمل الفساد إقليم ينبع كله مما كان سبباً في تخريب مدينة ينبع الميناء .

ويحسن ان نستطرد قليلاً بذكر بعض الاسباب التي دفعت إلى ذلك .

كان امير اقليم ينبع في اول القرن العاشر رجل من الاشراف يدعى (دراج) وهو جدّ ذوي هجار الاشراف المعروفين الآن في ينبع النخل .

ولهذا الامير موقف كريم في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد قام اميرها حسن بن الزبير من آل نعيم في يوم الثلاثاء سادس ربيع الاول من سنة احدى وتسعمائة بالاعتداء على حراس المسجد النبوي الكريم ، وأخذ ما في الحجرة النبوية من التحف والنفائس ، مدفوعاً إلى ذلك حسبا يعبر مؤرخ تلك الحادثة : (بسبب فقره الثقيل ، وعقله الخفيف) .

وحلّ بالمدينة وأهلها الذعر والخوف الشديد والقلق لما قام به ذلك الامير ومن معه من الاعمال السيئة من التعذيب والنهب والسلب فانقرط عقد الامن وسادت الفوضى .

يقول المؤرخ : (فبادر الشريف شewan الحسيني الى درّاج امير الينبوع ، فأخبره بما اتفق وسأله المجيء لحفظ البلد ، فان

الناس حصل لهم رجف كبير ..

ولما كان رابع عشره (١٤/٣/٩٠١) وصل دراج امير
الينبوع وابنه ، في تجريدة خيل نحو خمسة واربعين فارساً ، وجمع
من الركاب والمشاة يزيدون على ثلاثائة نفر ، وتزلوا في دار آل
منصور ، وتزل دراج دار ضيغم فاطمان الناس بوصولهم .

ثم في خامس عشره وصل بقية القواد في بعض خيل ومائة
رجل ، ونادى منادي دراج بالامن كفسر الناس .

ثم بعد عشرين يوماً جاءت خيل من الشريف محمد بن بركات
نحو عشرين فرساً ، وثلاثين قواساً ، مضافاً الى ما كان بالمدينة
من خيل دراج فتزايد الامن .

ثم بعد يومين من وصولهم سافر الشريف دراج .
انتهى ما ذكر المؤرخ .

توفى دراج الامير في سنة ٩٠٢ - فحصل نزاع على الامارة
بين ابنائه وبين أبناء شريف آخر يدعى يحيى بن سبع ، وكانت
امارة ينبع منوطة بالسلطنة نفسها في القاهرة ، كأماره مكة
وامارة المدينة .

فذهب يحيى بن سبع الى القاهرة وافداً على الابواب
السلطانية طالباً تعيينه في امرة ينبع مكان والده (سبع)

الذي كان يوماً ما في ذلك المنصب ، وكان الملك الاشرف قد اضافها الى امير مكة . فعين فيها احد ابناء دراج . ودراج له يدٌ على صاحب مكة ، فقد ساعده باضافة امارة المدينة اليه بعد خادثة نهب تحف الحجرة النبوية .

ولهذا لم يجب يحيى بن سبع الى ما طلب ، وعاد من القاهرة حاقداً على الابواب الشريفة كما يقولون . فلما مرّ بأحدى محطات الحجاج بقرب القاهرة (عجروود) ذبح ما فيه من الثيران التي يسنى عليها لايخراج الماء الى الحياض والجوابي لورود الحجاج ورمى بجثتها في (الفسافي) ^(١) .

ولكن شريف مكة — وقد وجد يحيى بن سبع اقوى من منافسيه ولاء امارة ينبع في رابع جمادي الآخرة من تلك السنة (٥٩٠٢) .

وعند رجوع يحيى من دار السلطنة غاضباً كلف الدولة ثمناً باهضاً .

فقد شق عصا الطاعة وخرج على الدولة ، وصار يؤلب القبائل ضدها فانتادت له قبيلة جهينة ، لما بينها وبين قبيلته (بني

(١) : درر الفوائد « ٣٤٨ » .

ابراهيم) من الروابط والصلات التي ازدادت قوة فيما بعد ،
فاصبح اسم (بني ابراهيم) يشمل كثيراً من فروع جبهنة ، لما
بينها وبين قبيلته (بني ابراهيم) من الروابط والصلات التي
ازدادت قوة فيما بعد ، فاصبح اسم (بني ابراهيم) يشمل كثيراً
من فروع جبهنة .

وانضم الى يحيى بن سبع مالك بن رومي رئيس قبيلة زُبَيْد ،
فتألبت هذه القبائل كلها وتجمعت برئاسة يحيى ، وخرجت على
الدولة ، وقامت بكثير من ضروب العبث والفساد ، الذي لم
يقتصر على نهب الحجاج القادمين من طريق الساحل ، وفيما بين
مكة والمدينة .

بل قطعوا الطريق فيما بين مكة وجدة ، وهددوا جدة
بالنهب ، بل بلغ بهم الامر الى ان عاثوا في مكة فساداً ،
وصادروا أموال بعض مشاهير تجارها ، وخاف اهله ، حتى
هموا بالهرب منها .

اما في دار السلطنة نفسها فقد انتشرت البلبلة ، وامر
السلطان بإبطال الحج ، بسبب اختلال الامن ، وبلغ الامر
أن اصبح من له قِرة عند احد من كبار رجال السلطان فانه
يجد وسيلة الانتقام منه سهلة ، هي ان يشي به الى السلطان بأن
له صلة بيحيى بن سبع .

ففي شهر صيف سنة ٩٠٨ أمر السلطان بالقبض على رئيس
القضاة الشيخ عبد البر بن الشحنة ، بعد ان وشي به بأنه كاتب
يحيى بن سبع ، يخبره بأن السلطان يريد القبض عليه .

وامر السلطان بالقبض على ازدمر ، الممندار (مدير شؤون
الضيافة) لانه قيل له بأن يحيى بن سبع كاتبه ، ولم يعلم
السلطان بذلك .

ولم يقف الامر عندها هذا الحد ، بل بلغ الاذى التجار الينبعيين
والحجازيين ، الذين كانوا يتعاطون بعض اعمال التجارة
في مصر .

وقد ذكر الجزيري ^(١) : - في حوادث سنة عشر وتسعمائة
ما هذا نصه : (وردت اخبار ان جدة ومكة في غاية الخوف
من بني حسن ، وان الشريف حميضة نازل هو ويحيى بن سبع ،
في ينبع ، وهو في جمع عظيم ، فرسم السلطان بالقبض على بني
ابراهيم الصيارف الذين في القاهرة والقصة والشوارع ، وباعة
العطر واللبان ، الذين يدورون بالاخراج على اكتافهم ، فحبسوا
وصار الوالي يدور على حواصلهم ، ووجدوا مع جماعة منهم
سلاحاً وزرديات ، يريدون تجهيزها الى يحيى بن سبع) انتهى .

(١) درر الفوائد « ٣٥٥ » .

ولا شك ان ما نسب الى هاؤلاء مبالغ فيه ، ولكن الدولة
وقد وقعت في مُحَمَّى البلبلة ، اصبحت تتصرف بدون تعقل .

مكث يحيى بن سبع عشر سنوات (من سنة ٩٠٢ الى سنة
٩١٢ هـ) يعيش فساداً في تلك النواحي ، وساعده على ذلك وقوع
خلاف شديد بين اشراف مكة على ولايتها ، وذلك في سنة
٩٠٧ - فقد خرج على امير مكة بركات بن محمد اخوه أحمد بن
محمد المعروف (بالجازاني) وقد قام يحيى بن سبع ومالك بن
رومي ومن معها الى جانب هذا الخارج ، ودخلوا مكة بمن
معهم من الاعراب ، مؤيدين للجازاني ، ثم لآخيه ، بعد ان
قاموا بنهب الركب الشامي في (رابغ) فنهبوه وقتلوا الرجال
واسروا النساء ، وفعلوا أفعالاً شنيعة ^(١) .

ولئن كان سبب كثير من هذه الحوادث هو موقف السلطان
حينما رفض تعيين يحيى بن سبع في الامارة ، فان من الاسباب
ايضاً ان الدولة الجركسية كانت تولي امارة الحج رجالاً لا
يحسنون سياسة العرب ، وكثيراً ما اندفعوا مغرورين بقوتهم
وشجاعتهم ففعلوا أعمالاً تثير لهم النقمة في نفوس العرب .

وها هو مثال من ذلك :

(١) بدائع الزهور « ٣٦/٤ » .

بعد انتهاء حج سنة ٩٠٧ - طلب امير الحج المصري ويدعى (اصطر) ويلاحظ ان امراء الحج في عهد الجراكسة كلهم اعاجم - طلب من شريف مكة الخروج مع الحاج ، لقتال الجازاني الذي انضم الى يحيى بن سبع في ينبع ، فلما وصلوا (الدهنا) فيما بين (بدر) و (ينبع) وهي من بلاد ينبع لاقاهم الجازاني بجمع كبير من بني ابراهيم ، وقال الجازاني لاصطر : لا تدخل بيني وبين اخي بركات - شريف مكة - ودعنا نقتل فيما بيننا ، وخذ الحاج وامض . فلم يسمع (اصطر) ذلك ، ويصفه ابن اياس قائلاً : (وكان قليل الدربة) فحصلت الواقعة ، فال امر الى ان انكسر (اصطر) وقتل ممن كان معه من المماليك السلطانية نحو من مائة ، غير الغلمان ، وتمت الكسرة على من كان بركب الحمل ، ونهب كل ما فيه ، حتى عرّيت النساء من ثيابهن ، واخذت عصائبهن من على رؤوسهن وقاسين كثيراً من الشدة ، وتخلف غالب الحجاج في (ينبع) وسافروا منه في مراكب في البحر ، ولم يصلوا القاهرة الا بعد مدة طويلة ، في انحس حال ، وقاسوا غاية المشقة ، وجرى عليهم كل سوء ، كما يقول ابن اياس^(١) .

(١) بدائع الزهور « ١٣٧/٤ »

وما هذا الا من طيش امير الحج ، وهو في الحقيقة الجاني على نفسه وعلى من معه .

ومثال آخر :

اراد يحيى بن سبع - مرة اخرى - ان يتقرب الى الدولة المصرية الجركسية ، بعد هذه الحوادث ، فأرسل اليها رسولا يطلب منها الرضا عنه ، وتثبيتته في امارته ، فقدم هذا الرسول الى القاهرة في سنة ٩١١ هـ فوجد السلطان قد (أنعم) بامرة ينبع على (هجار بن دراج) عوضاً عن يحيى بن سبع . فقال رسول يحيى للسلطان: هجار ليست له قدرة عليها ، وهو عاجز ، لا مال له ، فما كان من السلطان الا ان امر بحبس الرسول ، ورسم بإبطال التوجه الى الحجاز من مصر والشام ، وسائر الاعمال قاطبة ، وارسلت الكسوة و(صرر) الحرمين الشريفين والزيت ، من الطور الى جدة بجرأ (٢) .

ويعلق ابن اياس قائلاً : (ولم يبطل الحج هذه السنة كبير امر اوجب ذلك ، ولكن السلطان اهل الامور في اول الامر ، حتى تزايدت الفتن بين قبيلة بني ابراهيم ، والتفوا على الجازاني)

(١) درر الفوائد « ٣٤٨ » و بدائع الزهور « ٨٩/٤ » .

حقاً لقد أهمل السلطان الامر من كل النواحي حتى اوشك ان يستعصي حله ، وحتى كلف الدولة والامة الكثير من الجهد والاموال ، وازهاق النفوس البريئة .

عين السلطان اميراً جديداً لبلاد (ينبع) هو هيجار بن دراج في سنة ٩١١ هـ

وامر في هذه السنة بارسال ثلاث قوات من العساكر، احدها الى الحجاز ، والثانية الى الكرك في الشام لقتال عرب بني لام ، والثالثة الى الهند، لنصرة ملوك المسلمين الذين استولى البرتغاليون على بعض سواحل بلادهم .

وقد خرجت القوة الثالثة في تلك السنة ، وكان طريقها على (ينبع) بجرأ ، فوقع بينها وبين يحيى بن سبع قتال قال ابن اياس : (وفي صفر جاءت الاخبار من ينبع بأن التجريدة التي خرجت الى الهند ، بسبب تعبت الفرنج ، لما وصلوا الى ينبع اتفقوا مع يحيى بن سبع امير ينبع ، فهرب من وجههم وكانت الكسرة عليه ، وقتل من عربانه جماعة كثيرة .

واحرقوا الدور التي على ساحل البحر الملح ، التي بنذر ينبع ، واخربوا غالب دكاكينه ، وشتوا العربان الذي به^(١) .

(١) بدائع الزهور « ٩٥/٤ »

هذا ما ذكره ابن اياس ، والظاهر ان هذه (التجريدة)
القوية ارادت ان تجرب ما معها من الات حربية حديثة الصنع
تسمى (المكاحل) وهي المدافع ، فأنت على تلك البسلة
بالهدم والتحريق ، وهي الات لا عهد للعرب في ذلك العهد بها ،
فهي لم تدخل بعد بلاد العرب ، ولا يستبعد ان يكون يحيى
بن سبع ومن معه من العرب حاولوا في اول الامر ملاقة هذه
القوة ، فلما رأوا من سلاحها ما لا عهد لهم به ، ولا قوة لديهم
لمقابلته ، هربوا من وجهها .

ولو كانت تلك التجريدة قضت على حركة ابن سبع ، لما
احتاجت الدولة الى اخراج التجريدة الموجهة الى الحجاز ، فهي
لا تزال في القاهرة .

كان خبر وصول التجريدة الموجهة الى الهند - الى ينبع ، قد
بلغ القاهرة في شهر صفر سنة ٩١١ .

وفي شهر رجب من السنة نفسها خرجت القوة الموجهة الى
الحجاز ، بقيادة (خايربك) كاشف الغريبة ، وقد جهزت تجهيزاً
كاملاً ، وكان فيها من المماليك السلطانية وحدهم نحو من خمسمائة

(١) درر الفوائد « ٣٥٦ » وبدائع الزهور « ١٠١/٤ »

مملوك ، وفيها من الامراء نحو عشرين اميراً .

وخرج معها هجار بن دراج ، الذي قرر في امرة ينبع مكان
يحيى بن سبع .

وخرج الحمل ومنه الحجاج ، الا ان السلطان أمر بعدم
خروج النساء ، صحبة العسكر .

وقد وصلت الى ينبع فانهم منها يحيى بن سبع بعد وقعة
انتصرت فيها العساكر المصرية ، وكان ذلك في شهر رمضان .
وفي شهر شوال من السنة نفسها (٥٩١٢ هـ) حدثت في قرية
(السويق) من ينبع النخل ، معركة عظيمة انتصرت فيها
العساكر الجركسية انتصاراً كان فاصلاً ولنستمع الى ابن عباس
وهو يصفها ، ويصف عودة تلك القوة الى القاهرة . —

وقعة السويق : —

(في ذي القعدة (سنة ٥٩١٢ هـ) وردت الاخبار
بأن العسكر المتوجه الى يحيى بن سبع قد انتصر عليه نصرة
ثانية ، وكان من ملخص اخبار هذه النصرة ان العسكر لما تواقع
مع يحيى بن سبع وانكسر اولاً ، توجه الى طائفة من العربان

يقال لهم (عنزة) وهم من بني لام ^(١) ، فالتجأ اليهم ، واستمر
مقيماً في مكان بالقرب من ينبع .

فلما مضى شهر رمضان ودخل شوال حضر الشريف بركات
امير مكة ، وحضر اخوه قايتباي ، وحضر معهما من العربان
نحو من الف انسان ، فركب الامير خايربك باش العسكر ،
ووزع تلك العربان ، واكمنهم في مواضع متفرقة .

فلما وصل العسكر الى مكان يسمى « السويق » بالقرب من
ينبع اتى اليهم يحيى بن سبع ، وقد التف عليه مالك بن
رومي امير مخلص وامير المدينة ، وحمضة اخو الجازاني ،
فتواقعوا هناك وقعة مهولة ، قتل بها من العربان ما لا يحصى
ومن الاتراك ايضاً .

فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر يحيى بن سبع ومن

(١) : ليست عنزة من بني لام ، ولكن بني لام في ذلك
العهد كانوا من اقوى القبائل العربية ، ولهم نفوذ كبير في بلاد
العرب ، فكان الجاهلون بالانساب يضيفون اليهم كثيراً من
قبائل الجزيرة ، ويعدونهم داخلين تحت امرتهم التي هي امرة
(آل فضل) من لام .

كان معه من العربان ، فلما انهزموا خرجت عليهم الامكنة التي
اكرمها الامير خاير بك فاحاطوا بهم ، ولم ينجح منهم الا
القليل ، بعد ما قتل منهم نحو ثمانمائة واسر منهم قدر ذلك .

وجرح في هذه الواقعة الشريف بركات امير مكة في وجهه .
فلما هرب يحيى بن سبع وقع النهب في نجع العرب ، فغنم
منهم الاتراك اشياء كثيرة ، من جمال واغنام وقماش مما نهبوه
من ركب الحاج الشامي والعراقي .

وقد تمت الكسرة على يحيى بن سبع ، وامير المدينة ، وحمضة
اخى الجازاني فهربوا ولم يعلم لهم خبر^(١) .

وقال : - وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الاول (سنة ٩١٣)
كان دخول العسكر الموجه الى الحجاز بسبب محاربة يحيى بن
سبع - فدخل الامير خاير بك باش العسكر ... ومن معه
فكان لهم يوم مشهود ، فزينت القاهرة ودقت الكوسات ،
ودخل صحبتهم ثمانمائة راس من رؤس العربان من بني ابراهيم
الذين قتلوا في المعركة .

فكانت مدة غيبتهم ثمانية اشهر واياما ، وقد بيضوا وجهم

(١) : بدائع الزهور (٤ / ١١٦)

في هذه النصرة التي وقعت لهم ، وفتحوا درب الحجاز فتحاً ثانياً في
الاسلام بعدما كان الحج أن ينقطع^(١)

لم تفصل المراجع التي بين أيدينا كل ما جرى في هذه الواقعة
ولا تصفها باكثر مما اوردناه هنا ، وما جاء عنها في كتاب
(درر الفوائد المنظمة) وهو لا يزيد كثيراً عما جاء هنا .

ولكننا نستطيع ان ندرك شدة العنف والبطش والفظائع
التي ارتكبها الجيش في تلك البلاد واهلها من عبارة وردت في
في مؤلف الف بعد وقوعها بسبع وعشرين ومائة سنة ، حيث
بقيت ذكرها السيئة عالقة في الاذهان .

قال السيد محمد بن عبدالله الحسيني - الشهير بكبيرت -
المدني : ^(٢) (وفي سنة ٩٢٣ قتل الغوري .. والسبب المعنوي في
خراب مملكته انه قتل طائفة من بني ابراهيم ، من اشراف
ينبع ، وبنى من رؤسهم مسطبة ، جلس عليها أمراء عساكره)
ولتعد الى الحديث عن الامير مجيب بن سبع ، الذي كان

(١) : المصدر السابق .

(٢) : رحلة الشتاء والصيف (٧٣ الطبعة الثانية)

السبب فيما جرى من النكبات التي مُنيت بها هذه البلاد
الطيبة .

لقد توجه الامير هجار بن دراج - وهو من اشراف
ينبع - وهو الذي عينه السلطان في الامارة وكان يحى ، توجه
من القاهرة مع العساكر في رجب سنة ٩١٢ هـ^(١)

وتولى هجارُ امرة البلاد ، حتى اول عام ٩١٧ هـ .

فقدم ابنه علي بن هجار القاهرة ، طالباً ان يعين مكان ابيه
فأجيب الى ذلك في جمادى الاولى من هذه السنة ، وبقي في
الامارة الى شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٢٨ ، حيث توفي هو
ووزيره - في اسبوع واحد^(٢) - في عهد الدولة التركية ويصفه
ابن إياس قائلاً : (وكان من خيار من ولي امرة ينبع) .

ولقد حاول الامير يحى من الدولة الجركسية العفو عنه ،
فأرسل ابنه الى القاهرة في شهر الحرم سنة ٩١٤ - طالباً الامان
لابيه ، فلما قابل السلطان ، خلع عليه ، وقال له : على ابيك

(١) : بدائع الزهور (١٠١ / ٤)

(٢) : المصدر السابق (٤٥٧ / ٥)

ان يحضر ، وعليه مني امان الله (١) .

فيحضر يحيى الى القاهرة في شهر رجب ، فأرسل اليه السلطان مندبل الامان ، فحضر الى السلطان واجتمع به في القلعة ، ثم خرج من عنده بعد ان اكرمه ، والبسه خلعة ، وفوق رأسه مندبل الامان ، فلما نزل من القلعة كادت العامة ان ترجمه ، وسبوه سباً فاحشاً ، ولولا انه كان في صحبة (الامير الدوادار) لرجوه .

فلما بلغ السلطان ذلك نادى في القاهرة : بأن لا أحد من الناس يتعرض لابن سبع ، ولا يسبه . ومن فعل ذلك مُشْتَق من غير معاودة .

فتكلم الناس في حق السلطان بأنه اخذ من ابن سبع مالا له صورة ، وضيّع حقوق الحجاج فيما فعل بهم - هكذا وصف الامر ابن لباس (٢) .

والغريب في الامر ان الدولة - في اثناء فتنة ابن سبع - كانت تظن ان كثيراً من الخارجين عليها من العرب ، كانوا من

(١) : بدائع الزهور (٤ / ١٣٠)

(٢) : بدائع الزهور (٤ / ١٣٨)

انصاره . فقد حدثت ثورة في (فلسطين) قام بها بعض العرب الذين كانوا منتشرين في تلك النواحي ، فيما بين (نابلس) و (الكرك) وكان من ابرز اولئك قبيلة (بني لام) التي لا تمت الى ابن سبع باية صلة .

ولكن ابن اياس - مؤرخ ذلك العهد - يشير الى تلك الحادثة بهذا النص : (في ربيع الاول سنة ٩١٤ هـ جاءت الاخبار من الامير اذمر الدوادار ، انه لما توجه الى « الكرك » و « نابلس » قاتل عربان (بني لام) الذين كانوا من عصبة يحيى بن سبع ، فانتصر عليهم ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، واسر من كبارهم نحو عشرة ، وملك منهم مدينة (الكرك) ^(١))
ومما ينبغي ملاحظته - حول إمارة ينبع - ان الدولة الجركسية في آخر عهدها : وقد لاقت من امير ينبع يحيى بن سبع من التعب ما لاقت ، ارادت التخلص من ذلك ، فصدر أمر الملك قانصوه الغوري في سنة ٩٢١ باسناد تلك الامارة الى نظر شريف مكة .

يقول ابن اياس : (وجعل للشريف بركات التحدث على بندر الينبع ، يولي فيه من يشاء من تحت يده ، ويعزل من يشاء) ^(٢)

(١) : بدائع الزهور « ٤ / ١١٧ »

(٢) : بدائع الزهور « ٤ / ٤٥٧ » .

سبقت الإشارة الى انه في آخر عهد الدولة الايوبية اصبح
الحجاج الوافدون من مصر ، وما وراءه من الاقطار الاسلامية
يسلكون الطريق البري ، المارّ بالعقبة ، والآخذ على ساحل
البحر الى الحجاز ، بطريق ينبع ، بعد ان كانوا يأتون بجرأ
من « عيذاب » و « القصير » الى « جدة » .

ثم عنيت دولة الجراكسة باصلاح هذا الطريق ، حتى اصبح
الطريق الرئيسي للحجاج .

وفي سنة ٦٦٠^(١) سير الملك الظاهر بيبرس البندقداري
قافلة الحجاج ، من هذا الطريق ، وارسل معها كسوة الكعبة ،
فاكتسب الطريق اهمية لازمتها الى عصور متأخرة .

ومنذ ذلك العهد اصبح هذا الطريق تحت رعاية الدولة ،
تقوم باصلاحه ، وبناء المحطات فيه لحراسته ، وبجفر الآبار ،
وباتخاذ مختلف الوسائل لضمان سلامة الحجاج .

(١) : تاريخ مكة للاستاذ احمد السباعي « ٣٠٠/١ » الطبعة

الثانية .

ونتيجة لذلك اكتسبت بلاد ينبع جانباً من اهتمام الدولة وعنايتها .

وسارت الدولة التركية على طريقة الدولة الجركسية في ذلك .

وقد اصبح ميناء ينبع - نتيجة لما تقدم - من الموانئ الرئيسية ، فضلاً عن وقوع « ينبع » في طريق الحجاج ، فان كثيراً من الملوك المتقدمين في الدولة الجركسية وفي الدولة التركية - قاموا باصلاحات واسعة في الحرمين الشريفين ، وفي البلدين الكريمتين مكة والمدينة ، من بناء مدارس وأربطة ، وغيرها ، فضلاً عن تقرير مقررات سنوية من الاطعمة ترسل الى اهل المدينتين ، ولحاجة قوافل الحجاج التي اصبحت تسير تحت امير يتبعه كثير من الجند ، والخدم ، وما تتطلبه قافلة (المحمل) من الحاجات اللازمة .

وكان قسم كبير من كل ذلك يرسل بخرأ من السويس ، ومن الطور الى مينائي « جدة » و « ينبع » .

وكان ما يخص المدينة المنورة من ذلك يرسل الى « ينبع » .

ولهذا لزم اصلاح الميناء وتوسيعها ، وبناء أمكنة لحزن تلك الاشياء حتى تنقل الى المدينة او تمر قافلة الحجاج عائدة من

المدينة ، او ذاهبة اليها لتأخذ حاجتها منها .

ففي عهد السلطان سليمان القانوني « ولي السلطنة من سنة ٩٢٦ الى سنة ٩٧٤ هـ » قررت الجرايات من الجبوب والنقود لاهل الحرمين الشريفين ، وخصص قسم من الجبوب يصنع منه طعام للفقراء في المدينتين الكرمتين باسم « دشيشة » وكان ما يخص المدينة المنورة يرسل الى ميناء ينبع ، فأمر السلطان سليمان بانشاء مخازن لتلك الجبوب ، وبتشييد جامع كبير في البلدة . وباصلاح الميناء وتوسيعه .

ثم في سنة ٩٨٤ هـ هدم ذلك الجامع واعيد بناؤه أحسن مما كان عليه ^(١) ، وكان ذلك في عهد السلطان مراد .

وزيدت مخازن الجبوب . فأنشئت شونة ثانية مضافة الى الشونة الاولى التي جرى اصلاحها ، وتوسيعها ، لتتسع الشونتان للجبوب .

وفي عهد السلطان مراد - سنة ٩٨٤ - جرى توسيع الميناء ، وأصلح الساحل ، ووصف رصفاً محكماً ، وجعل الرصيف بطول خمسين ذراعاً ، في عرض اربعة عشر ذراعاً ، ليصلح ويتسع لرسو عدد من السفن .

(١) : الاعلام لعبد الكريم القطبي « ١٤٤ »

وتبعاً لما تقدمت الإشارة اليه من الاصلاحات التي قامت
الدولة بها في ذلك الميناء ، انتعشت البلدة .

حافظت ميناء ينبع على مكانتها - في القرن الحادي عشر
الهجري - ترسو فيها السفن حاملة ما قرره الدولة لاهل المدينة
المنورة من جريات مقررة سنوياً من الجبوب ، ولوازم الحرم
الشريف ، وما يحتاج اليه ركب الحج المصري ، الذي كان
يأتي بطريق البر ، محاطاً من الدولة بكثير من العناية والاهتمام
له أمير خاص يأتي معه عدد كبير من الجند لحراسة الحجاج
وللمحافظة على الامن في ذلك الطريق .

ونظراً لعدم الماء العذب في (ينبع) الميناء ، فان مكث
قوافل الحج كان لا يعدو المرور الى المحطة الرئيسية التي هي
(ينبع النخل) .

ولا تسعفنا المصادر التاريخية التي تحت ايدينا بمعلومات
مفصلة عن حالة تلك الميناء ، الا أننا نذكرك من الاشارات
الموجزة المدونة في الرحلات ، والمذكورة في بعض كتب
التاريخ - في ذلك العهد - ان البلدة أصبحت تتصف بالاستيطان

الدائم في جميع العام ، لها أميرها ، ولها قاضيها ، وهي وان لم تكن المحطة الرئيسية للحجاج ، الا ان ارزاق الركب وحاجاته كانت ترد اليها وتبقى فيها ، وهذا مما يحفظ لها قسطا من عناية الدولة واهتمامها .

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري (في سنة ١١٠٥ هـ) مرّ بها الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) فتحدث عنها في رحلته حديثاً نرى بنقله كاملاً امتاعاً للقراء ، بعرض صورة من صور تدوين الرحلات في ذلك العهد ، كما رسمها صاحبها .

قال :

(ثم اصبحنا في يوم السبت الثالث عشر بعد المائتين وهو اليوم السابع من شعبان ، فركبنا وسرنا الى ان وصلنا قبيل الظهر (الحوراء) ^(١) بفتح الهاء المهملة ومكون الواو والراء مفتوحة بعدها الف ممدودة ومقصورة وهي المنزل الحساوي والعشرون من منازل الحاج ، وهو مكان في البرية بين تلال من

(١) : الحوراء كانت قديماً اشهر ميناء بحري في تلك الناحية وكانت معروفة الى عهد قريب ، تقع بقرب بلدة (امثنج) شمالها ، بجوالي خمسة أميال .

الرمل ، فيه ماء تغلب عليه الملوحة ، يجري على وجه الارض ،
بين القصب النابت هناك ، فنزلنا وجلسنا مع الاخوان حصة
من الزمان ، وقلنا من النظام في ذلك الآن : -

قد أتينا من مصر منزلة في
سفر الحج ، حيث عُشِبَ وماء
نحن في جنّة النعيم بسير
نحو (طه) وهذه (الحوراء)

ثم ركبنا فوصلنا بعد دخول وقت العصر بقليل الى مكان في
البرية بين تلال من الرمل يقال له (الجِمل) بكسر الجيم
وسكون الميم وباللام ، ولا ماء فيه ، فنزلنا هناك حتى صلينا
صلاة المغرب مع الجماعة ، وحصل كمال الثواب ان شاء الله تعالى
بتمام الطاعة .

ثم ركبنا وسرنا حصة من الليل نحو الاربع ساعات ،
ونزلنا هناك في مكان في البرية ، وبتنا الى ان اصبح الصبح ،
صباح يوم الاحد الرابع عشر ومائتين وهو اليوم الثامن من
شعبان فركبنا وسرنا في تلك البراري الواسعة ، والمهامه التي
جوانبها بالسراب لامعة ، حتى وصلنا قبيل الظهر الى وادي

(النَّبْط) ^(١) بقرب ساحل البحر ، والنبط شرقي هذا الوادي ،
والنبط هو المنزل الثاني والعشرين من منازل الحاج ، فنزلنا
هناك في ذلك الوادي وقلنا من النظام الذي يترنم به
الشادي :

سلكنا للعجّاز طريق مصر
وقابلنا بذلك أرض (نَبْط)

وكان مصيرنا في شط بحر
فتلك اشارة ان ليس نَبْطِي

ولما كنا بمصر انشدنا عزيزنا الشيخ زين العابدين البكري
الصديقي حفظه الله تعالى لوالده سيدي الشيخ محمد البكري سبط
آل الحسن ؛ انه نظم في هذا المحل لما ذهب الى الحج قوله :

اسقني من ماء (نَبْط)
وليكن في العشر مرة

واترك (الحورا) لأنسي
أكره (الحورا) و (أكره) ^(٢)

-
- (١) نَبْط : مكان فيه ماء وسكان ولا يزال معروفاً وهو
تابع الان لبلدة (املج) .
(٢) أكره : منزل للحاج فيه ماء مرتين (الوجه والحوراء)

ولا بن حجلة :

ايا سادة في (الوجه) فزت بقربهم

ولم ادرا ان القرب يؤذن بالبعد

سريتكم الى (اكرى) فشردتكم الكرى

وخلقتوا في (الوجه) دمعي على خدي

واكرى هو اكره بالماء اسم للمكان المذكور قريباً للعلامة

الحافظ ابن حجر العسقلاني :

اجبتنا لا تنسوا العهد من فتى

غريب اليك الحزن مقلته غبري

تذكرت في درب الحجاز عهدكم

فلم يبق سن في العهود ولا (اكرى)

ولنا من النظام بحسب ما وجدناه من مشقة النفوس والاجسام

اذا ذهبت منا الجسوم مشقة

وقد ذابت الارواح من شدة التعب

فذاك قليل في هوى من نجه

ولا عجب بل إن بقيتاهما المعجب

ثم بعد صلاة الظهر هناك ، ركبنا وسرنا الى ان وصلنا بعد العصر الى مكان في البرية ، بجانب ماء حفر له في الارض هناك فظهر ، فزلنا حصه من الزمان بمقدار ما حصلت الراحة واستقر الركبان ، ثم صلينا صلاة المغرب بالجماعة ، وركبنا وسرنا نحو خمس ساعات من الليل قطعناها بالمسامرة ساعة بعد ساعة ، حتى وصلنا الى مكان يسمى (الخضراء) وهو المنزل الثالث والعشرون من منازل الحاج ، وليس فيه ماء ، وهو اول حكم الشريف شريف مكة فزلنا هناك ، وبتنا تلك الليلة منتظمي الشمل كالدر في الاسلاك ، وقلنا في ذلك من النظام بمعونة الملك العلام : -

منزل للحجاز في درب مصر
ويسمى (الخضراء) من غير ماء
وهو مبدا حكم الشريف فقوموا
وانظروا للشريف والخضراء

فلما اصبغنا في يوم الاثنين الخامس عشر ومائتين ، وهو اليوم التاسع من شعبات ، وركبنا وسرنا على بركة الله تعالى ، وقد نفد زادنا ونقص مرادنا ، ولم يبق معنا ما يمضغ او يساغ وما على الرسول الا البلاغ ، ولكن قرب المزار ، فاتخذنا من

التوكل شعاراً ، ومن التسليم ازاراً ، الى ان صار ضحوة النهار ،
 ففرقنا من بعيد ، على بيوت من الشعر : لعرب هناك نازلين ،
 في مكان يسمى (النِّبَاة) بفتح النون مشددة وفتح الباء الموحدة
 بعدها الف وهاء ، فقلنا : نباه من النباهة ، وبيوت من البيوتة
 وعرب من الاعراب الذي هو الكشف والبيان ، وشعر من
 الاشعار ، ونحن في حكم بني هاشم ، حتى دنونا من الخيام ،
 ونزلنا على العرب منهم مؤذنين بسلام ، فاذا هناك امرأة من
 (جهينة) وبنوها صبية صغار في ذلك الحي متفرقين ، فقلنا :
 ها هنا يحصل المرام (وعند جهينة الخبر اليقين) فلما استقر بنا
 المكان ، قامت المرأة الى نار اضرمتها ، وتلك الصبية جمعتها ،
 وجاءت الينا ورحبت بنا ، ودعتنا الى بيوتها ، واعتذرت لنا
 بغيبة رجالها ونفى ثبوتها ، واجلستنا في بيوت من الشعر ، ثم
 عملت لنا القهوة ، وصنعت الخبز على طريقة اهل البر ، والبدو ،
 وجاءت لنا بشاة وقالت : اذبحوها ، وطبختها لنا وقدمتها بين
 يدينا مع الخبز من البر المرسل الينا ، وقدمت لنا بطيخاً حلواً ،
 أحمر ، فحملنا معنا ما بقي من اللحم المطبوخ ، وظهر الزاد
 الذي كان لنا في القيب مضر ، وبقينا هناك الى ان صليتنا صلاة
 العصر بالجماعة ، ثم ركبنا ومرنا بعصب الاستطاعة وقلنا من

النظام في ذلك المقام :

لقد ظهرت اشارات القبول
فأهدتنا الى نهج الوصول
وزممت الهداة وصافحتنا
كفوف العاليات من الاصول
وسرنا والظلام لنا حجاب
نشقه بأقمار الأفول
وكدنا ان نطير جوى وشوقا
الى نعو المدينة والرسول
سقى الله الحجاز وينبئيه
وما حوّا من الخير المهول
(فينبع) بجرهم نفّع البرايا
و (ينبع) نخلهم مثنوى القبول
ازال الله وحشة بدور كل
عن المختار بالانس الذلول

ولم نزل سائرين الى نعو منتصف الليل ، ثم نزلنا في تلك
البرية على غير ماء ، وارحنا الركاب والحيل . وبتنا تلك الليلة

في سرور واشتياق وحنين الى المنازل الدانية من امانى العشاق
حتى اصبحنا في يوم الثلاثاء السادس عشر ومائتين وهو اليوم
العاشر من شعبان ، فركبنا وسرنا الى ان وصلنا بعد الظهر الى
(ينبع البحر) ونزلنا هناك في (القلعة) على شاطئ البحر ولا
ماء هناك الا الماء الذي يجلب في وقت الصباح ، وياع وكأنه
سمى (ينبع) تفاؤلا بنبع الماء فيه ، او لنبع الارزاق
المجربة اليه من البحر ، مع ملحوظة فيه ، وقلنا في ذلك اشارة
الى ما هنالك : —

اتينا محلا شاطئ البحر دافق

لديه بارزاق بها الله ينفع

جرت منه انواع الجرايات للورى

كما الماء من عين جرى فهو (ينبع)

وليس هذا المكان بمنزل من منازل الحاج ، وانما المنزل شرقيه
اعلى منه ، وهو (ينبع النخل) كما سنذكره قريباً .

وكنا وعدنا الشيخ زين العابدين البكري حفظه الله تعالى
اتنا اذا وصلنا الى (ينبع البحر) بالسلامة والعافية والنصر ،
نرسل اليه مكتوباً بذلك ، ليثبت عنده وعند بقية المحبين لنا
ما هنالك . وقد وعد البدوي الذي كان معنا بأنه متى جاءه

بالمكتوب ، يعطيه جوخة جديدة ويوصله الى مأموله والمطلوب ،
فألح علينا البدوي في كتابة ذلك المكتوب الموعد ، بعد
حصول الوصول بالسلامة ووفاء العهد ، فكتبنا هذا المكتوب
وارسلناه مع العرب الذي كانوا معنا ودفعنا لهم الابل التي
حملونا عليها ، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بانجاح المطلوب
وهذه صورة المكتوب الذي ارسلناه: بسم الله الرحمن الرحيم .

يا بَنِّ وَدِّي دَعَاءَ صَبِّ غَرِيبِ

في البلاد النائي ، لفقد الحبيب

بَيْدَ أَنِّي إِذَا تَنَسَّمُ مِنْ (طِبِّ)

بَمَّةَ (طِبِّ) أَزْهَوُ بِذَلِكَ الطِّيبِ

وَإِذَا لَاحَ بَارِقٌ مِنْ نَوَاحِي

جَدِّكَ الصَّادِقِ الْآمِنِ النَّجِيبِ

كَنتَ أَشْتَمُ مِنْهُ رِيحُكَ حَتَّى

أَجِدُ اللَّطْفَ ، فِي الْجَنَابِ الرَّحِيبِ

وَأَرَى الْفَرْعَ عِنْدَ أَثَارِ أَصْلِ

وَأَرَى السَّرَّ فِي سَنَّاكَ الْعَجِيبِ

حَبْدَا (الْوَجْهَ) وَالرَّبِيعَ الَّذِي تَمَّ -

- وَأَنْوَاعَ نَغْمَةِ الْعَنْدَلِيبِ

ومشينا في شاطئ البحر والأع
- شاب من حولنا على تعشيب

ومياه لنا هناك وجدنا
عند اغرب قريبة التعريب

حيث أنعامهم تدر لبانا
لذة الشاربين ذات شبيب

والزمان الزمان فيه اعتدال
وامان ، وزايد التقريب

كل هذا بلطف همة مولى
صادق الحال والمقال نسيب

وهو (زين العابدين) تسامى
بابي بكر وهو خير صحيب

دام في (مصر) مجده ، بيت قوم
يستمدون من علاه القريب

يا هماماً يفوق كل همام
واريسا يزوي بكل اريب

بعدت يبتنا وبينك انوا
ع مسافات ، ذا الطريق النهب

فتأت اليك منا قصيد
تشتكي الشوق عذبة التشيب
وعليك السلام ما حنّ صبّ
لتلاقي حبيب في المغيّب
والى نحوك التحية منا
ما زها الروض باللباس الخصب

وانهينا اليه احوالنا بالسلامة ، وبلغنا الى جنبه تحيته وسلامه

ثم أننا سألنا عن السير الى المدينة المنورة فأخبرونا ان
العرب الذين هم عرب (حرب) حاصل بينهم وبين امير الحجاز
(سعد بن زيد) حفظه الله تعالى منازعة وحرب ، وانهم واقفون
في (وادي الصفراء) ينعون كل من سار الى المدينة ، وقد
ظهرت منهم للزايين خصلة قبيحة كمينه ، وان لا يحصى الا
بالسفر الى جوار سعد بن زيد الهاشمي امير الحجاز ، فانه يقدر
على انفاذنا الى تلك الجهة والجواز ، واما على غير هذا الوجه
المذكور ، فانه لا يمكن اصلا كما قال الشاعر المشهور :

ايا دارها به (الخيف) ان مزارها
قريب ، ولكن دون ذلك احوال

فلما رأينا الامر كذلك وتحققنا صعوبة هذا المسلك ، طلبنا

من نكثرى منه خمسة من الجمال ، ونسير الى جهة (سعد بن زيد)
لنبليغ به غاية الآمال ، ثم يتنا تلك الليلة بنية السفر ونسأل من
الله تعالى وفضله العيم حصول الظفر .

فلما أصبحنا في يوم الاربعاء السابع عشر ومائتين وهو
اليوم الحادي عشر من شعبان ، جاء الى زيارتنا في (قلعة الينبع)
في مكان مبيتنا هناك الشيخ الصالح ، والناجح الفالح ، در
الاسلاك محمد بن ابراهيم من اولاد الشيخ الكفرسوسي ، واقاربه
عندنا معروفين في (دمشق الشام) منسوبين الى قرية (كفرسوسة)
المشهورة بين الانام ، ومولد هذا الشيخ في المدينة المنورة ،
وهو الآن قاضي (الينبع) بسيرة مطهرة من منذ اربعين سنة
بعد موت والده ، وذهب طارفه وتالده ، واخبرنا انه لما كان
في المدينة عزم على الذهاب الى مصر المحروسة فرأى تلك الليلة
كأنه في الحجرة النبوية المأنوسة والماتف الالهية ينشده
هذا البيت :

فلما افاق لم يكن له عزم على الذهاب الى مصر وهو هذا
البيت : -

ايا راحلاً عنا لدنيا يصيبها
اتبع ما يفنى ، وتترك ما يبقى ؟

واخبرنا انه كان في ما مضى رجل من الاشراف من بني
 هاشم ، وهو السيد حسين ابن السيد الصديق الاهل اليمني ،
 فامتحن في المدينة ، وقال له بعض الناس : انك لست من
 الاشراف (١) .

واخبرنا ابن الكفروسية المذكور انه حسب تاريخ هذه
 السنة (سنة خمس ومائة والف) في عدة تواريخ الاول قوله تعالى
 (وله مسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم) والثاني قوله
 (يا من عوايده جميلة ولطف خفي) بسكون الهاء في جميله ،
 والثالث قوله : (يأتي من الطاف مولانا ما لم يكن في البال) ،
 وقد شاعت هذه التواريخ في المدينة المنورة كما وجدنا ذلك عند
 وصولنا اليها وقد قلنا في مكان التاريخ الثالث هكذا (يأتي
 من العلم لطف لم يكن في البال) ليدخل في وزن المواليا ونظما
 قبله على طريقة اهل المدينة ، في التاريخ فقلنا مع زيادة ما بعد
 (أرخ) في المعراج الثالث : -

كن واثقاً بالاله الواحد الفعال
 تتل مرادك ، وتبلغ غاية الامال

(١) : اوردهنا حكاية لم نر لها مثلاً ، لانها مما لا يلائم
 افكار كثير من القراء .

في علم ربي سنة أرخ لها من قال :
(يأتي من العلم لطف لم يكن في البال)^(١)

ثم عزمنا على السفر بعد اداء الصلاة الظهر الى (ينبع
النخل) وركبنا وسرنا فلما خرجنا الى البرية ، واذا برجل بدوي
مقبلاً يرقص على ناقة كاه ، حتى دخل (ينبع البحر) ثم خرج
من (ينبع البحر) فارس يركض بفرو ، فوصل الينا ، وسلم
علينا ، وقال لنا : جاء من حضرة سعد بن زيد كتاب الى
حاكم ينبع : لا تتركوا الشيخ وجماعته يخرجوا الينا وحدهم ،
فان الطريق مخوف بيننا وبينكم ، ارسلوا مع الشيخ وجماعته
عبد الله بن عمرو الهاشمي احد اشراف الحجاز ، يأتي به الى
جهتنا . فالمراد انكم ترجعوا الى (ينبع) وفي غد يذهب
معكم ، وان اردتم قفوا هنا حتى يتها ويأتي اليكم ، فاخترنا
الرجوع ، فرجعنا وبتنا تلك الليلة في (ينبع البحر) في بيت
الحاكم المذكور ، في أتم انبساط واكمل سرور ، حتى
اصبحنا في يوم الخميس الثامن عشر من شعبان فاكثرنا الجمال ،

(١) الجمل المذكورة اذا احسبت حروفها بطريقة حساب
الجمل (ابجد) يكون مجموعها (١١٠٥) وهي سنة مرور
المؤلف بينبع .

وركبنا وسرنا ، وركب معنا الشريف عبدالله ابن عمرو الهاشمي على ناقة له ، ومعه اثنان على ناقتين ، حتى مررنا في الطريق على قبر في الفلاة يقال له (قبر الغريب) بضم الغين المعجمة وفتح الراء وتشديد الياء المثناة التحتية والباء الموحدة ، صيغة تصغير ، وهو رجل من الصالحين مات ودفن هناك ، فقرأنا الفاتحة له ودعونا الله تعالى ^(١) .

ثم سرنا حصاة من الزمان ونزلنا هناك في البرية تحت شجرة ام غيلان ، وشربنا القهوة ، واسترحنا هنيهة في سرور وامان .

ثم ركبنا وسرنا فوصلنا وقت العصر الى (ينبع النخل) وهي قرية كبيرة ذات نخل كثير ، ومياه غزيره ، وهي المنزل الرابع والعشرون من منازل الحاج ، وبقي على الحاج الى مكة سبعة منازل ، بدر ، ومنزل القاع ، ومنزل رابغ ، ومنزل قديد ، ومنزل عسفان ، ومنزل وادي فاطمة ، ثم الى مكة المشرفة ^(٢) . انتهى كلام النابلسي .

-
- (١) : قراءة الفاتحة على القبور بدعة ، وكذا الدعاء ، والسنة ان يدعو الزائر للميت بالدعاء المأثور ، فهو بحاجة الى من يدعوله .
- (٢) : الرحلة الكبرى : (الحقيقة والحجاز من الورقة ٢٠ الى ٢٣ نسخة المكتبة الوطنية في فينا) .

وفي اول القرن الثالث عشر الهجري ، عندما عزم محمد علي باشا والي مصر ، على غزو الدولة السعودية محارباً للدعوة الاسلامية الصحيحة خوفاً من ان تنتشر وتعم جميع البلاد الخاضعة للنفوذ التركي ، كان أول ما اتجه إليه اصلاح ميناء ينبع .

فقد امر باقامة عدد من المباني الحكومية والمستودعات ، وبناء قلعة في المدينة ، وباحاطة المدينة بسور^(١) ، لتكون مهياً لاستقبال المساکر العظيمة التي سيرها بقيادة ابنه أحمد طوسون .

ولنستمع الى مؤرخ نجد ، الشيخ عثمان بن بشر ، وهو يصف وصول تلك الجيوش ، ويذكر طرفاً من اخبارها .

قال في كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) - ص ١٥٥ ج ١ -
الطبعة الاولى : -

وفي هذه السنة (سنة ١٢٢٦ هـ) اجمع أمراء الترك على المسير الى الحجاز ، وأعدوا جميع آلات الحرب من السفن والمدافع ، والقنابر والبنادق ، وجميع آلاتها ، وما يحتاجون اليه من الاموال والذخائر من الطعام وغيره ، فاجتمع المساکر من

(١) : دليل الحج تأليف محمد باشا صادق (٢٩)

اصطنبول ونواحيها وما دونها الى الشام ومصر . والرئيس
المقدم بهذا الامر من جهة الترك صاحب مصر محمد علي ، فسير
العساكر المذكورة برأً وبحراً فسير عساكر في السفن .

واستولى على بندر «الينبع» ثم سير ابنه احمد طوسون
بالعسكر الكثيف مع البر ، فاجتمعت العساكر البرية والبحرية
فكانت العساكر التي استقلت من مصر من الترك واهل المغرب
نحو اربعة عشر الف مقاتل او يزيدون ، ومعهم من الخيل
عدد كثير .

فلما اجتمعت العساكر في (الينبع) هرب منه رئيسه جابر
بن جبارة وقصد المسلمين^(١) . فلما سمع سعود بمسيرهم أمر علي
نواحي المسلمين من الحاضرة والبادية من اهل نجد والجنوب
والحجاز وتهامة وغيرهم ، فسيرهم مع ابنه عبدالله . فنهض عبد
الله بتلك الجنود ونزل (الحيف) المعروف من (وادي الصفراء)
فوق المدينة النبوية واستعدوا لاقبال العساكر المصرية ، واجتمع
معه من الجنود نحو ثمانية عشر الف مقاتل وثلاثمائة فارس .

(١) : آل جبارة من رواس قبيلة جهينة من اهل ينبع النخل
وممن عرفناه منهم : الشيخ محمد بن جبارة ، من الرجال الافذاذ،
عقلاً وكرماً ، وتوفي حوالي سنة ١٣٥٧ هـ

ولما نزل عبدالله بالخيف امر علي مسعود بن مُضَيَّان ومن معه من بوادي حرب وجيش اهل الوشم ، ان ينزلوا في الوادي الذي في جانب منزلهم الذي هم فيه مخافة ان يأتي معه دفعة من الترك فيفتكوا بالمسلمين ويخفروهم ،

ثم ان العساكر المصرية والتركية زحفت على المسلمين ، واقبلت عليهم ، فارسل اليهم عبدالله طليعة جيش وفرسانا واستعد لهم الترك .

وحصل على المسلمين هزيمة وقتل اثنان وثلاثون رجلا فنزل عسكر الترك مقابل عسكر المسلمين ، فالتقى الفريقان ، وجعل عبدالله على الخيل اخاه فيصل بن مسعود ، وحباب بن قحيطان المطيري ، فعصل قتال شديد ، وصبر الفريقان وكثر القتل في الترك والمسلمين ، وصار عدة وقائع ومقاتلات في هذا المنزل ، وابتلى المسلمون ببلاء شديداً . فكلما حل الترك على جمع المسلمين انهزم الاعراب وثبت غيرهم . واقاموا على ذلك نحو ثلاثة ايام فأرسل عبدالله الى مسعود ابن مضيان ومن معه من حرب ، واهل الوشم ، وامرهم ان يحملوا على الترك فاقبلوا وصار أول حملة عليهم مع جملة جنود المسلمين ، فانهزمت العساكر المصرية لا يلو ي احد على احد .

وانكشفوا عن غيبتهم ومخبتهم ، ولولوا مدبرين ، وتركوا المدافع وهي سبعة ، والخيام والنقل والرحايل وكثير السلاح وما في محلهم من جميع آلات الحرب والذخائر ؛ ولا نجا منهم الا اهل الخيل الذين ادبروا مع باشتهم . ومات غالب خيولهم حفاً وظماً ، حتى وصلوا الى (البريكة)^(١) وركبوا منها في السفن الى (ينبع) واستقروا فيه وقتل من رجالهم عدد كثير واخذ المسلمون منهم من الاموال والسلاح ما لا يحصى .
والذي حرولنا ان القتل من الترك اكثر من اربعة آلاف رجل .

وقتل من المسلمين من جميع النواحي نحو ستمائة رجل منهم مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود وبرغش بن بدر بن راشد الشيباني ، وسعد بن ابراهيم بن دغيث ورئيس قحطان هادي بن قرملة ، ورئيس عبدة مانع بن كدم ، ورشد بن شعبان اخا محمد بن سالم وهو امير بني هاجر ، ومانع بن وحير العجني الفارس المشهور ، وغيرهم .

وكانت هذه الواقعة في العشر الاواخر من ذي القعدة في هذه السنة . انتهى كلام ابن بشر

(١) : البريكة : ميناء صغير في جنوب ينبع ، ويظن بعض الباحثين أنها موقع ميناء « الجار » القديم .

ان مما يسجل لهذه البلاد عداد من الفخر ، ان احد رؤساء
أهلها ، وأبرز شيخ من مشائخ عشائرها ، الشيخ جابر بن جبارة
وقف ذلك الموقف المشرف ، فلم ينقد للغزاة الطامعين ، ولم
يكن من ضعاف النفوس الذين كاث المال كل شيء في حياتهم ،
بل كان عالي الهمة ، شريف النفس ، فثبت على المبدأ ، هو
وشيخ من مشائخ حرب ، مسعود بن مضيّان الذي انضم مع بعض
قبيلته الى جيوش المسلمين ، حتى وصلت الجيوش التركية
المصرية الى المدينة فقبض عليه في سنة سبع وعشرين ومائة ، بعد
ان افسدوا الضمائر بالرشاوي .

يقول احد مؤرخي الحجاز : (اجتمع كثير من عساكر
البر والبحر في « ينبع » ومعهم صناديق من الاموال ، فأخذوا
في تأليف العربان واستألتهم ببذل المال ، وكان ذلك بعد مكاتبتهم
مع شريف مكة الشريف غالب ، فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم
سيراً ، فكانوا يعملون بتدبيره ، وبما يعتمد عليه ، فكان
ذلك سبب اقبال مشائخ العربان عليهم ، وارسلوا الى شيخ
مشائخ حرب كافة ، فحضر ، فأكرموه ، فخلعوا عليه وعلى من
حضر معه من اكابر العربان ، فألبسوهم الفراوي السمور ،
والشالات القشيري ، وصبّوا عليهم الاموال ، واعطوا شيخ

مسانخ حرب مائة الف ريال فرانسة عينا ، ففرقها على المشائخ ،
وخصه هو بمفرده من ذلك ثمانية عشر الف ريال ، ثم رتبوا لهم
علائق ونقوداً تصرف لهم كل شهر ، فعند ذلك ملكوهم
الارض ، وصاروا يسعون في خدمتهم ، وتقدمهم الى ان
ادخلوهم المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من هذه السنة
(١٢٢٦ هـ) واخرجوا من كان فيها ، وقبضوا على ابن مضيّان ،
الذي كان متآمراً في المدينة) . انتهى .

اوردنا ما تقدم - استطراداً - لكي يدرك القاريء حالة
تلك البلاد في ذلك العهد ، وليدرك ان العرب انفسهم هم الذين
يجرون الشرّ لانفسهم ، فلولاً خيانة الشريف غالب ، وممالاته
للاعداء الغزاة ، ولولا وسائل المكر والخيانة ، وشراء الضمائر
لم يستطع الاعداء ان ينالوا من العرب من اذلالهم ، والاستيلاء
على بلادهم ، والتحكم فيهم ، ما نالوا .

انتعشت حرّكة العمران في اثناء القرن الثالث عشر ،
بسبب اتجاه محمد علي باشا لغزو بلاد العرب ، واتخاذ ميناء
ينبع لانزال كثير من معدات الحرب ، ولوازم العساكر .

وبعد استيلاء تلك الجيوش على البلاد انحصر ملك محمد علي
باشا في مصر ، وبقيت البلاد خاضعة للدولة التركية (في
سنة ١٢٥٦ هـ) .

وكان محمد علي قد ابقى قسماً من عساكره بقيادة قائد
يدعى سليم باشا آتسزبير ، في وادي الصفراء بين ينبع والمدينة ،
وغرضه من ذلك التضييق على قبائل العرب هناك ، من سكان
تلك البلاد ، من حرب وجهينة ، بعد ان قطعوا كثيراً من نخيل
تلك البلاد ، وهدموا قراها ، لاختضاع القبائل بالقسر والقوة ،
ولكنهم تحصنوا في الجبال ، وقطعوا طرق المواصلات ، فحصل
لاهل المدينة وما حولها ضيق شديد ، واشتد الغلاء ، ولكن
العساكر انتصرت في آخر الامر بقيادة الشريف محمد بن عون ،
الذي قصد اعظم معقل كان للعرب وهو جبل « الفقيرة » وفيه
نخيل وزروع لهم ، فحاصروهم فيه ، فانقادوا بعد أن احرق
منازلهم ، وقطع كثيراً من نخيل ذلك المكان (١) .

وفي آخر هذا القرن بدأ شأن ينبع يضعف حتى اصبحت
عبارة عن قرية صغيرة .

(١) : انظر تفصيل ذلك في كتاب خلاصة الكلام ص ٣١١ .

يصفها محمد باشا صادق في كتابه « دليل الحج »^(١) ، عندما مرَّ بها في يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٩٧ هـ فيقول :
 (هذه البلدة على البحر ، وبها ميناء مشهور للمدينة المنورة ،
 والوابور يرسو على بعد ١٥٠ متراً ، من الرصيف ، وبها ٨٠٠
 بيت وسوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج ، وبعض خضروات
 وبها نحو ٥٠٠٠ نفس ، واغلب تجارها من مصر والصعيد ،
 وعند موسم الحج تأتي اليها العرب للتجارة ، واما في غير اوان
 الحج فلا يوجد بها شيء ، وتصير كالخراب ، وتحمل اليها الغلال
 من مصر لترسل الى المدينة ، وبها شونة كبيرة ، وبرج به
 مدفع من نحاس ، وعشرة طوبجية من الترك ، وبها محل
 للكرنينة ، مبني في غاية الانتظام ، ومحافظها من اهلها برتبة
 قائم مقام ، معين من ضباط العساكر الموجودة بالمدينة ، وتحت
 أوامر محافظها ، لان هذه البلدة تحت حكومة الدولة ، وسورها
 متهدم ، ثم بنى جميع ما بها من الابنية الميوية كالشونة والمحافظة
 والبرج والصور ونحوها قد صار بناؤه في مدة المرحوم محمد
 باشا والي مصر سابقاً ، ولم يتجدد مما ذكر شيء ، بعد ان صارت
 تحت ادارة الدولة ، بل آل أغلبه الى السقوط ، وليس هناك ابار

(١) : « ص ٢٩ و ١٣١ » .

وانما نخزن مياه السيل في صهاريج ، وتباع على الحجاج ، وثمان زقّ الماء عندهم غرشان . والزق هو قرية صغيرة ، تستعمله العرب للماء ، وكل ثلاثة زقاق او اربعة ملء قرية مصرية ، ومشهورة بكثرة الذباب للعفونات ، من عدم المراحيض بالمنازل ، فأما اهاليها من نساء ورجال فيتبرزون في الفلاة ، وعلى شاطئ البحر ، وقد بلغت الحرارة وقت الزوال ٣٨ درجة ، وبعد الحج تأتي الوابورات اليها لتحمل الحجاج الى السويس) . انتهى

ما كنا نستحسن ايراد هذا الوصف لولا ان واجب المؤرخ يقضي بأن يسجل الوقائع والاخبار جميعها ، ولكي يدرك القارئ مبلغ الاهمال الذي كانت الدولة التركية تتركه في حق البلاد التي بسطت عليها نفوذها .

وقال ايضاً : (وقد اتفق لي التوجه اليها في سنة ١٣٠٣ هـ فوجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة ، طوله ٣٠٠٠ ذراع ، تحفظاً من هجوم الاعراب ، وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم ، وصيانة للذخائر ، والسبب انه وقعت ثورة بها من العربان بني ابراهيم : وهجموا على السجن واطلقوا منه شخصين ، وقتلوا اربعة من عساكر الضبطية ، ولما وصل الخبر الى والي مكة ارسل طابورا من العساكر الشاهانية ، اعني خمسمائة نفر ، ومدفعاً واحداً ، واطفئت الفتنة ، واقيم السور) . انتهى .

وعلى ذكر وصف محمد باشا صادق ، مدينة (ينبع) نذكر
بهذه المناسبة ان السيد جعفر البيتي المدني ^(١) كان قد مرّ بهذه
المدينة في النصف الاخير من القرن الثاني عشر ، فوصف ما
قاساه بها من أذى الحشرات ، بقصيدة تعتبر من عيون شعر
ذلك الشاعر ، بحيث أن كثيراً من مترجميه يوردونها في
سياق الثناء على شعره ، وقد عارض بتلك القصيدة قصيدة فتح
الله ابن النحاس الحلبي ، المتوفي في المدينة المنورة سنة ١٠٥٢ -
ومطلع قصيدة ابن النحاس :

رأى اللئومَ من كل الجهات فراعَه
فلا تنكروا اعراضه ، وامتناعه

وآخرها :

وكل اتحاد للهوى فيه سورةٌ
ولم يكسب المحمور إلا صداه

في ٤٢ بيتاً .

وينبغي - قبل ايراد قصيدة البيتي - ان نشير الى ان

(١) توفي سنة ١١٨٢ هـ وله ديوان شعر مخطوط ، في مكتبة
شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة ، وفيه اهاج مقدّمة
لامام من ائمة الاسلام الاجلاء .

كثرة الحشرات في ذلك العهد في ميناء ينبع ؛ كانت بسبب وجود مستودعات للحبوب التي تخزن هناك بعد وصولها من مصر ، حتى يتسنى إرسالها للمدينة ، فتتولد تلك الحشرات في المستودعات ، ومن اثر رطوبة الارض تتكاثر ، يضاف الى هذا عدم غناية من يتولون امر تلك الحبوب بنظافة اماكنها ،

ثم ان ذلك العهد عهد لم تكن وسائل اباداة تلك الحشرات معروفة ، ولهذا فقل ان يخلو منها مكان .

وما لنا نذهب بعيداً ، لقد مرت في عام ١٣٦٧ - بمدينة (معان) وهي من امهات مدن بلاد « الاردن » فسألت عن فندق ابيت فيه ، فذكر ان في المدينة فندقين احدهما في محطة السكة الحديدية ، وهو بعيد عن البلدة ، والثاني في وسط البلدة ، وان كان اقل مستوى من الاول إلا أنه أقرب ، فاخترت السكنى فيه .

وبينما انا عند بابي ، والخادم يتناول حقيقتي إذ أبصرت مكتبة بالقرب منه ، فأمرت الخادم ان يختار لي غرفة ، ويضع حقيقتي فيها ، وتركتهما معه وذهبت الى المكتبة ، فوجدت فيها أناصاً استهوانني حديثهم الى الجلوس معهم ، ثم الذهاب الى منزل أحدهم للعشاء ، ولم أعد إلى الفندق إلا بعد صلاة العشاء ،

فوجدت بوابه ينتظرنني ، وسرعان ما انصرف بعد أن ارشدني إلى مكان حقيبتني .

كان الفندق مظلماً إذ ليس فيه كهرباء ، والاضاءة فيه بمصابيح « الغاز » الخافتة النور ، ولما تمددت على السرير لاناام - وهو من نوع أسرة الخشب والخص التي كانت مستعملة في المقاهي بمكة قبل عشرة أعوام - أحسست لذعاً شديداً بعدما تمددت فوق السرير ، فحاولت أن أتبين سبب ذلك اللذع ، ولكنني لم استطع لضعف نور المصباح المعلق في الجدار ، فلمسا نزعتة وادنيته من السرير ، ابصرت ثوبي ممتلئاً من « البق » ونظرت إلى السرير فوجدت ثقبوب خشبه مملوءة من تلك الحشرة الخبيثة .

ماذا أفعل ، وثيابي قد أصبحت ملوثة مملوءة به ، وجلدي يلتهب من حرارة لذع ذلك « البق »

ناديت ، ورفعت صوتي بالنداء خادم الفندق ، فلم يجبني أحد ، فطرقت غرفة مجاورة لغرفتي فوجدت فيها احد اخواننا من أبناء البادية : ولما سألته : الا يوجد أحد من خدم الفندق؟ أجاب : ان عادتهم الخروج في الليل ، ولا يعودون الا في الصباح ، وهم يعلقون بابه على من فيه خوفاً من ان يسافر احد منهم قبل ان يدفع الاجرة .

أسرعت الى الباب ، وحاولت فتحه فلم أقدر . فصعدت فوق السطح ، وكان واسعاً ، وكان الجو أقرب الى البرودة منه الى الاعتدال ، ولكنني صبرت على البرد ، ورميت ملابسي بعيداً عني ، وبقيت كما « خرجت من بطن امي » اعمل أظافري في جلدي ، وادور في ذلك السطح ماشياً ، واذا تعبت جلست محفوّزاً ، وهكذا أمضيتها ليلة في « فندق الحجاز » في مدينة (معان) في هذا العصر الذي انتشرت فيه وسائل الحضارة .

واذن فلا غرابة أن يجد الشاعر البيتي مدينة (ينبع) قبل قرنين من الزمن بالصورة التي صورها في قصيدته التي تقضي علينا الامانة للعلم ، والتجرد من كل الاغراض أن نوردها كاملة ، ثم نتبعها بقصيدة شاعر نظر الى (ينبع) بغير العين التي نظر اليها بها السيد البيتي ، ذلك الشاعر هو عبدالرحيم القفطي ، الذي جاء بعد البيتي بما يقارب القرنين من الزمن :



رأى «البَقَّ» من كل الجهات .. !!

قصيدة السيد جعفر البقي ، عارض بها قصيدة فتح الله بن
النحاس الحلبي المتوفي سنة ١٠٥٢ هـ في المدينة :
رأى (البَقَّ) من كل الجهات فراعهُ
فلا تنكروا تحكيكه والتباعهُ
ولا تسألوني كيف يبتُ فأنني
لقيت عذاباً لا اطبق دفاعهُ
تزلنا بمرسى (ينبع البحر) مرة
على غير رأي ، ما علمنا طباعهُ
نقارع من جند (البعوض) كتاباً
وفرسان (ناموس) عدنا قراعهُ
فلو عابنت عيناك ميدان ركضه
رأيت تجريء القلب فيه شجاعهُ
وجندا من (الفيران) في البيت كُتبتا
متى وجدوا خرقاً أحبوا اتساعهُ
وسربة (قمل) تنبري لئسَ سربة
خفافاً الى مصّ الدماء سراعهُ
ينازعها (البرغوث) لحماً فليته
رَضَى بتلافي ، واكتفينا استزاعهُ

فلو يجد المسوعُ من مُعظم ما به
 من الصخرِ دِرْعاً لاستخار ادُّرَاعَهُ
 فرب قميص كان تشرأ من العَرَى
 اذا ضمّه الملتاع زاد التباعه
 كاني وكيل للبراغيث قائم
 أُقِيتُ لَهُ اِبْتِئَامُهُ وَحِيَاةُهُ
 اذا شبع الملعون مَجَّ دماً على
 ثيابي ، فلا أحيا الآله شِبَاعُهُ
 فما رَشْنَا بالدم الا لسانه
 ولم تَوَعِينِي مَكْرَهُ وَخُدَاعُهُ
 سلوا عن دمي سارى البعوض فأنني
 علمت يقينا انه قد اضاعه
 فِلْتَهُ جلد صار بالحك اجرباً
 اخاف عليه (يا فلان) انقشاعه
 فلا تعذلوا المسكين ان عيل صَبْرَهُ
 واطهر من جور الزمان انقجاعه
 فقد مارس الاهوال في أرض (ينبع)
 ووطناً فوق النائبات اضطجاعه

زرعت العنا فيه يمينا ويسرة
 وصيرت صبري والتأسي ذراعاه
 فاعدمني طول المقام تجلدي
 وكشفت عن وجه اصطباري قناعه
 اذا رنم (الناموس) حولي اعلني
 وصدع قلبي سبعة وابتداعه
 وان مص من لمي ، وطار تبعته
 إلى فأت منه ارجي ارتجاعه
 عدمت غناء مثل انغام سبعة
 فما كان اشئ سبعة وابتداعه
 ضعيف قوي لا يقر من الاذى
 واضعف منه من يرجي اصطناعه
 وكم نفدت في دفعه كل حيلة
 ولو كان بالحسنى طلبت اندفاعه
 فيا لاصيحابي « اقتلوني » ومالكا
 فقد مدّ نحوي مفسد « البق » باعه

(١) : اشارة الى البيت المعروف :

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

أَحِبُّهَا .. وَأَحِبُّ الْقَاطِنِينَ بِهَا

وهذه قصيدة عبد الرحيم القفطي ، في (ينبع)^(١)
امن تذكر اكل (الحوت) بالرطب
اعرضت عن لذة العُثْبَابِ والعِنب؟
ام شوق نفسك (لعدوس) اورثها
كراهة التين والرمان والقصب؟
اما ترى (النيل) في تلك البطاح جرى
فجاء من رؤية الازهار بالعجب
فكيف تحزن بالأرياف من اسف
على ديار سُكَّاءِ الماءِ والحطب
نعم ، اميل لهاتيك الديار ، ولو
اصبحت فيها عديم المال والنسب
اما .. وحرمة^(٢) ما في البحر من سمك
وما حوى الحوت من رأس ومن ذنب

-
- (١) : كتاب أدب رضوى ، (٦٤) وفي هذا الكتاب بحث موجز عن هذا الشاعر « ص ٥٨ وما بعدها » ولكن لم يحدد فيه زمن الشاعر .
(٢) القسم بغير الله شرك ، ولو قال : « اما وخالق » لسم من ارتكاب الخطأ .

ما النيل عندي سوى نيل التوشف من
 ماء (العصيلي^(١)) اذا ما صب في القرب
 شوقي الى (القاد)^(٢) في الاحشاء يوقد من
 نار اشتياقي الى (منجارة)^(٣) العرب
 ومهجتي في رصيف (البنط)^(٢) ما برحت
 رهينة لم تحل عنه ولم تغب
 وصورة (الصور)^(٢) في الاحشاء صورها
 قلبي و (حلة عبس)^(٢) غاية الطلب
 وفي (الحريق) فؤادي ضاع واسفى
 على الحريق بذاك الحي في لهب
 قد شاب رأسي، ولو اني نظرت الى
 (باب الشيبى)^(٣) لكان الرأس لم يشب

(١) : العَصِيلِي : مكان خارج ينبع فيه بشر .

(٢) : أسماء مواضع في ينبع .

(٣) : اسم احد الصهاريج لجمع مياه الأمطار .

أهوى وقوفي لدى (باب الحديد)^(١) لكي
أرى مصابيح (سوق الليل)^(٢) كالشهب
في (رقعة السمن)^(٣) لي قصدٌ ولي غرضٌ
وعند (سوق الفواتي)^(٣) منتهى أربي
يا فوز من كان موجوداً هناك اذا
قام (الحراج) وصار البيع في الرطب
والمشترون له حازوه وانقلبوا
بنعمة في (الفواتي) خير منقلب
يا عرب ذاك الحمى كيف السبيل الى
قلبي الذي قد نشأ في حبكم ورُبى ؟
ناديته يوم ترحالي احذثه
بانني راحل عنه ، فلم يجب
من ذا يلوم على شوقي الى بلدي
العيش في غيره للقلب لم يطب ؟

(١) : من اسواق ينبع .

(٢) : موضع يباع فيه السمن .

(٣) : سوق الفواتي : مكان يباع فيه الرطب .

ما عاقني عن رجوعي في اماكنها
الا تراكمُ احزاني بموت ابي
ما بال دهري اذا ما رمت نجلته
في مطلبٍ ساءني بالعكس في طلبي ؟

من لي برد أوثقَاتٍ لنا سلفت
في (ينبع) الخير والآمال والادب ؟

خير البلاد وارجاها واقربها
نفعاً وارجحها كسباً مكتسب

وكيف لا وهي من دون البلاد غدت
باباً لبلدة (طه المصطفى) العربي

ارجو وآمل ان الله يجعلني
فيها مقبلاً مدى الايام والحقب

ضعف شأن الحج ، بسبب عجز الدولة الحاكمة عن حماية طريق الحجاج المارّ بنبع ، يضاف الى هذا اختلال أمر الدولة التركية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين حتى آل الامر الى انقطاع حجيء الموكب الرسمي للحجاج بطريق البرّ ، وضعفت تلك البلاد التي كانت حياتها كثيراً ما تقوم على قدوم الحجاج اليها .

وفي القرن الرابع عشر طرأ تغيير على طريق الموكب « الرسمي » للحجاج ، فصار يأتي عن طريق البحر من السويس الى « ينبع » وبدأت « ينبع البحر » تنتعش قليلاً ، في الوقت الذي ضعفت فيه « ينبع النخل » التي كانت المحطة الرئيسية للحجاج ، فأصبحوا يمرّون بها مروراً ، ولا يمشون فيها ، بينما كانوا في السابق ، يقيمون ثلاثة أيام أو أربعة .



لنقرأ مع القارئ الكريم شيئاً مما كتبه الباحثون عن مدينة
« ينبع » في اول هذا القرن ، وفي منتصفه .

قال اللواء ابراهيم رفعت باشا - امير الحج المصري في سنة
١٣٢٠ - في كتابه « مرآة الحرمين » :

« وصلنا ينبع ، في غرة المحرم سنة ١٣٢١ ٣٠ مارس سنة
١٩٠٣ » وقد استقبلنا بالميناء محافظ ينبع ، ورئيس عسكرها ،
لباسهما الرسمي ، وحينئذ العساكر الشاهانية مصطفة على رصيف
الميناء ، ثم أنزلت الأمتعة والمحمل الى البر ، ونزلنا واحتفل
بالمحمل احتفالاً عظيماً^(١) ، هرع اليه الناس جميعاً لانهم لم يشاهدوا

(١) الاحتفال بالمحمل من البدع ، بل المحمل نفسه بدعة ،
حدثت في القرن السابع الهجري - تقريباً - واللواء ابراهيم رفعت -
صاحب « مرآة الحرمين » سلفي العقيدة ، كثيراً ما يوضح في كتابه
هذا الوجهة الشرعية في كثير من الامور التي يتعرض لذكرها في رحلته
ومن أمتع ما كتبه ، وتعرض له في كتابه هذا (زيارة القبور) فقد
أوضح الزيارة الشرعية وبيّن ان الدعاء عند القبور شرك ، ولمّا
قرأ بعض القصائد المكتوبة على ضريح حمزة - عم النبي صلى الله عليه
وسلم - ورأى ما فيها من المبالغات ، أنكر ذلك وبالع في الانكار .
وبالاجمال فكتابه - فضلاً عن كونه من انفع كتب الرحلات
واجودها - يتضمن تحقيقات دينية وملاحظات قيّمة ، تدل على
ما يتصف به صاحبها من حسن عقيدة تغمد الله برحمته .

موكب الحمل قبل هذه المرة ، اذ كان الحمل وقتما كان يسافر
براً يمر بينبع النخل ، التي تبعد عن ينبع البحر مسيرة ١٢
ساعة ولا يمر^١ بالثانية .

ينبع البحر :

هذه المدينة واقعة على ٢٤° و ٥ دقائق عرضاً شمالياً وعلى
٣٦° طولاً شرقياً ، وهي على الساحل الشرقي للبحر الاحمر ،
غربي « المدينة » وهي فرضتها التجارية ، والمسافة بينها مسيرة
٥٩ ساعة من طريق ينبع السلطاني ، ولها مرسى مبني بالحجارة ،
ويسكنها « ٧٠٠٠ » نفس . وبها « ٨٠٠ » منزل ، و ٣٠٠ دكان ،
وثلاثة جوامع وتسعة مساجد صغيرة - زوايا - ومكتب للتعليم
ودار للحكومة ، واخرى للبريد ، ومخزن كبير ، وصهاريج
يتجمع بها ماء المطر ، وفيها ينابيع ماء ، ولكنها قليلة الغناء
وتجلب لها المياه من محل يسمى « المسحلى » على مسيرة خمس
ساعات « انظر شكوى اهل ينبع في الرحلة الثالثة » .

ولينبع محافظ ، ونائب عنه ، ومجلس ادارة يرأسه المحافظ ،
ويتألف منه ، ومن ستة اعضاء ، ثلاثة منتخبون ، والثلاثة
الاخرون نائب المحافظ ، ومدير الأموال ، ورئيس التحريرات .

وفيهما مجلس بلدي ، يتألف من رئيس وثلاثة أعضاء ، وبها
شُرذمة « اورطة » من الجنود .

وجوها رطب

ويحيط بها سور ، به باب مخفور في الجهة الشمالية ، وهذا
السور بناه دولة المشير عثمان باشا نوري ، الحاكم العادل الذي
منع الاعراب من الدخول في هذه البلدة مسلحين ، بل يضعون
سلاحهم في المخفر ثم يدخلون ويأخذونه بعد الخروج ، ومكتوب
على السور الأبيات الآتية :

سلطاننا « عبد الحميد » له الهنا

أمنت بسعد رجاله الاوطان

لاسيما « عثمان » والينا الذي

بوجوده وادي « الحجاز » امان

قد شاد سورا حول (ينبع) لم يزل

أثراً له ، ما دامت الازمان

قلنا : وقد لاح المؤرخ ناجزاً :

قد حصن سور ينبع (عثمان) ؟

١٣٠٣

وكان قبل هذا السور سور آخر ، جددته عثمان أغا ، بأمر

دار السعادة في سنة ١١٢٦ هـ وقبل السورين سور آخر أمر بهدمه
في سنة ١٠٧٩ هـ الشريف سعد صاحب مكة .

وقد رأيت في حجتي سنة ١٣٢٠ هـ قلعة خربة كتب على بابها
الغربي في لوح خشب قديم : -

يا (سالما) بلغت ما رمته
في دار عزٍّ انت سيّدته
ان زرته يا صاح أوْ مُجْزئته
فتاريخه اثر قد نلته ؟

١١٧٣

وفي سنة ٦١٧ بنى بها قلعة الشريف قتادة ، وقد استراها
صاحب اليمن ، علي بن عمر بن رسول من الشريف ابي سعد
الحسني ، وأمره بهدمها .

واكثر الحجاج يمرون بينبع ، ميممين المدينة للصلاة في
المسجد النبوي ، ولزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تبعاً
لذلك ، فينبغي العناية بها لأن نسبتها الى المدينة كنسبة جدة
الى مكة ^(١) .

(١) مرآة الحرمين » ١٢/٢ - الى - ١٤ .

المياه في ينبع :

الباخرة « ينبع » المعدة لتكرير المياه بينبع وصلت اليها متأخرة ، اذ لم تحضر اليها في ٨ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ (٢٤ مارس) وينبغي ان تكون هنالك من اول الحجة حتى اذا ما حضر الحجاج كانت على استعداد قام ، ثم ان الصهاريج (الفناطيس) التي كانت تخزن بها المياه قليلة ، فينبغي ان تزداد الى ٢٠ ، وان يعين لتوزيع المياه معاونان ، وثمانية محافظين ، وبدون ذلك لا يكون هناك عظيم جدوى من وجود الباخرة المكررة للماء ، لان قلة العمال والصهاريج توجب شدة التزاحم على المياه ، فيضيع الضعيف بين الاقوياء ، وتتلوث المياه ، ولولا الضباط والعساكر الذين أنظناهم ملاحظة توزيع المياه لاشتد التزاحم والتضارب ، ولم يبلغ بشخص غرضه منها .

وقد قدم الى اهالي ينبع في حجة سنة ١٣٢٠ استرحاماً اتقدم به الى اخوانهم المصريين ليمدوهم بألة بخارية دائمة تكرر لهم المياه ، وتتقدم من مخالف العطش المميت ، بل تنقذ الحجاج الذين يفدون الى بلادهم من كل حدب ، وانا نذكركمها لك مع تغيير قليل في عباراتها ، دون معانيها ، ومراميها (وذكر) فإن الذكـرى تنفع المؤمنين .

سعادة امير الحج المصري .

هل تسمحون لأهالي ينبع البحر ان يتقدموا اليكم باستعطاف
لا يرمي الى غرض ما ، سوى لفت نظركم إلى ماضي بلدتنا من
قلة المياه ، وغلو أثمانها الى درجة يكاد الفقير منها يموت عطشاً ،
والغني يصبح فقيراً ، فان زِقَّ المياه الذي يعادل ربع قربة مصرية
بلغ ثمنه في هذا الوقت ٣٦ قرشاً بعملة ينبع ، أو عشرة قروش
مصرية ، وليست تقف قيمته عند هذا الحد ، بل ترتفع كلما
شاءت اهواء ذوي البرك والصهاريج الذين اغنوا أنفسهم من
اموال العالم ، بل من امتصاص دمائهم .

وان ينبع التي هي فرضة المدينة ، وممر الزوار اليها لا
ينقصها إلا الماء الذي قلل من خطرها ، وغادرتنا في اشنع حال .

وان كثيراً من الحجاج مرّوا بها في السنين المجدبة ، ونابهم
من الشدة وغلو الاثمان ما نتحمله نحن الآن والحجاج ، وكنّا
ظننا ان يكونوا ألسنة لنا تبث شكوانا الى اخواننا المسلمين
المنتشرين في اصقاع الارض ، علّهم يرثون لحالنا ، ويساعد
بعضهم بعضاً في تخفيف ويلاتنا ، ولكن للأسف ، كذبنا الظن ،
وخاب منا الأمل .

ولقد توسمنا فيكم الخير يا سعادة الباشا - فرفعنا اليكم
شكايتنا ، راجين قبولها ، مؤملين اذا رجعت الى بلادكم تصحبكم

السلامة ان تنشروا ذلك بين مواطنيكم اهل الشفقة والخير ،
وان تستهضوا همهم التي نرى فيها سعادتنا المرجوة
وحالتنا المنشودة .

الله الله - يا سعادة الباشا - في أمر كهذا ، فيه فلاحنا
وسعدنا ، (وانه لذكر لك ولقومك) .

انا لا نريد ان تجلب الى بلدتنا عين ماء ، فان نفقاتها كثيرة ،
ولربما اعتدت عليها ايدي البدو الاثيمة ، وانما نريد آلة بخارية
تخرج لنا من بحرنا الأجاج بحراً عذباً ، وتكون بين ظهرانينا .
وانا في الحتام يرفع كبيرنا وصغيرنا اكف الضراعة الى الحق
ان يوفقكم لهذا العمل الخيري الذي تخدمون به الاسلام والمسلمين
اجل خدمة ، وتكسبون به الأجر الجزيل ، ونرجو الله ان
يديمكم كهفاً للساكنين وملجأ للباكين آمين .

ينبع البحر في ٢ المحرم ١٣٢١

وقد حادثت محافظ ينبع في تدبير امر المياه ، فأخبرني بأنه
قد صدرت ارادة سنية بعمل آلة مكررة للمياه الملحة « الكندنسة »
تصل الى ينبع بعد خمسة شهور واخبرت بذلك الولاية والامارة
وقد مضى على ذلك سنتان ولم تصل « الكندنسة » وقد كررت
الكتابة الرسمية والخصوصية في ذلك فلم تجد شيئاً . وان

الجنود الشاهانية ينفق عليها في الشهر ثمن مياه ١٥٠٠٠ قرش عثماني .

ولقد كلمت صاحب العطفة ناظر الداخلية في مسألة المياه فقرر ارسال الباخرة « ينبع » الى ثغر « ينبع » لتقيم به نحو ثلاثة شهور في السنة ، تميد فيها بالمياه المارين من الحجاج ، واهالي ينبع جميعهم^(١) .

ووصفها الشيخ حافظ وهبه فقال : (ينبع البحر : مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو (٥٠٠٠) نسمة : والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويحلب اليها الماء من مياه تسمى (المَسِيحِي) تبعد عن البلدة نحو اربع ساعات . وقد انشأت الحكومة الحالية (كندانسا) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم .

وفي ضواحيها كان الاجتماع التاريخي ١٩٤٥ م بين المرحوم الملك عبد العزيز وبين ملك مصر السابق فاروق .

(١) : مرآة الحرمين (١١٩/٢ - ١٢١) .

وقد اُهملت ينبع في العشرين سنة الاخيرة ، فهجرها كثير من سكانها ، ولكن عناية الحكومة قد شملتها في السنوات الاخيرة ، فبعد الطريق الموصل للمدينة كما اعتزمت الحكومة انشاء ميناء عصري لتسهيل وصول السفن اليها ، وهكذا تعود الحياة اليها مرة اخرى .

ينبع النخيل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب جهينة وحرب ، ويتبعها نحو عشرين قرية أهلة بالسكان (١) .

وتحدث عنها الاستاذ مصطفى الدباغ قائلا : —

(يَنْبُعُ الْبَحْرُ : بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة تقع على بعد « ٩٠ » ميلاً : « ١٤٤ كم » للجنوب من « امالج » وهي المرقأ الطبيعي للمدينة المنورة وما جاورها . والميناء الثاني للحجاز . ومع انه صغير الا انه عميق ومَصُونٌ جداً ، وتقع امامها جزيرة صغيرة تسمى « جزيرة العباسي » . وليس في ينبع البحر ماء ، وانما تخزن فيها مياه الامطار وحياناً يؤتى

(١) : جزيرة العرب في القرن العشرين (ص ٢٠) الطبعة الرابعة سنة ١٩٦١ م .

اليها بالماء من موقع يسمى « المُسَيَّحِلِي » على مسيرة نحو عشرة كيلومترات . وقد أنشأت الحكومة فيها آلة لتقطير مياه البحر حفظاً للصحة العامة .

يحيط بالبلدة سور جده العثمانيون في ولاية عثمان نوري باشا ، الذي ولي امر الحجاز عام ١٢٩٩ هـ : ١٨٨١ م لمنع دخول الاعراب بسلاحهم . يقدر عدد سكانها بنحو ١٠٠٠٠ نسمة بينما كان عددهم نحو ٣٠٠٠ نسمة في عام ١٩١٢ م . ويتبعها من البدو معظم قبائل جُهَيْشَة .

وينسب الى ينبع البحر : ابو عبدالله حرمة المدلجي الينبعي ^(١) « له صحبة ورواية عن النبي عليه السلام و « ابو ذلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي » شاعر رحالة . وكان يكنى بالرحالة الحجازي ؛ قام برحلة ممتعة الى الشرق الاقصى

(١) : بل الى ينبع النخل وكذا مسعر بن مهلهل الخزرجي وكتابه ليس مجلداً ضخماً بل رسالة وقد حققها المستشرق (و . مينورسكي Prof. O. Minorsky) وطبعت في مصر سنة ١٩٥٥ في (٣١ صفحة النص العربي والترجمة الانجليزية والدراسة في ١٣٦ صفحة) .

وكتب ما شاهده في تلك الديار في كتاب ضخـم نقله المستشرقون الى مختلف اللغات الاوروبية . تجاوز التسعين من عمره ، توفي في نحو عام ٥٣٩٠ هـ : ١٠٠٠ م ^(١) .

ومن علماء ينبع « محمد بن ابي بكر بن عبد العزيز بن محمد ، ابو عبدالله عز الدين الكناني » ولد في ينبع عام ٥٧٤٩ هـ : ١٣٤٨ م ويعرف باسم « ابن جماعة » عالم باللغة والبيان والاصول وغيرها . تتلمذ لابن خلدون . توفي في القاهرة عام ٨١٩ هـ : ١٤١٦ م ^(٢) وعبد الرحمن بن عواد . مولده ووفاته في ينبع . تولى قضاء بلده وتوفي عام ١٢٩٣ هـ : ١٨٧٦ م . له مؤلفات ^(٣) .

ومن الشعراء الذين ينسبون الى هذه البلدة الشاعر « عبد الرحيم القفطي » الذي سجل الكثير في شعره عن ينبع .

والكيلومترات الاتية تبين المسافة بين ينبع والبحر وغيرها من المدن المجاورة :

الوجه : ٣٢٠ جدة : ٣٢٠ زابغ : ١٦٦ المدينة المنورة ٢٠٨

(١) : الاعلام للزركلي « ١٠٩/٨ » .

(٢) : الاعلام للزركلي « ٢٨٣/٦ » .

(٣) : الاعلام ايضاً « ٩٤/٤ » .

وتقع في جوار ينبع البحر عدة أودية وقرى عديدة . ومن
الودية (وادي ينبع) و (وادي العيص) وغيرها .

وتوجد رواسب عظيمة جداً من نوع جيد من الجبس ، على
بعد بضعة أميال شمال ينبع البحر ، ولكنها لم تستثمر حتى
الآن للاستفادة منها) .

وأشهر القرى المجاورة بلدة (ينبع النخل) وتقع على بعد
نحو ٥٢ كم (١) .

ولاحد أبناء تلك البلدة الكريمة ، أنجأت حول تاريخها وهو
الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، قال في احدها :

(يخيل لكثير من الناس في بعض المدن ، حينما يقرأون
كلمة او رسالة عن مدينة ينبع في صحفنا السيارة انها قرية من
قرى مملكتنا المتسعة الارحاء ، والمترامية الاطراف ، وربما
اخطأوا كل الخطأ في تصورهم هذا ، فمدينة ينبع ليست
بنكرة على من زارها ، او قرأ عنها ، فهي من أشهر المدن
والموانيء السعودية واصلحها على ساحل البحر الاحمر ، وهي

(١) : الجزيرة العربية (١ / ٨٢ و ٨٣) الطبعة الاولى سنة
١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .

مفتاح لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من غابر العصور والتاريخ
لم يهمل ذلك ، وله ان يتحدث ، فلقد استقبل هذا الميناء الكبير
في يوم من الايام ثلاثين باخرة ، وكانت لينبع تجارة خارجية
عظيمة في الصادر والوارد ، فكانت تصدر التمور والاسماك
والحناء والبطيخ والسنامي والصمغ والسمن والعسل والماشية
والاصواف والجلود الى الاقطار المجاورة ... وتستورد بدلا عن
هذه الصادرات بعض المواد الغذائية والكماليات ...

وهي مدينة متسعة الأرجاء ... تمتاز بهواء عليل .

ومن اجمل المناظر الطبيعية فيها (خليج رضوى) التاريخي
ذو الشواطىء الرملية الجميلة ، والمناظر الشاعرية الخلابة .

وفي هذا العصر الذهبي الزاهر ... عصر الاصلاح ... اخذت
نصيبها من بعض المرافق الحيوية .

فقد جلب اليها الماء العذب من ينبع النخل على مسافة
ستين كيلو متراً .

وعبدت طرقها بالاسفلت ما بين المدينة وجدة (١) .

(١) : ادب من رضوى (٨٩) .

ثلاث عقبات كانت تعترض التقدم العمراني لهذه المدينة
الاولى : اختلال الامن في هذه البلاد ، وفي غيرها من انحاء
الجزيرة في العهود الماضية منذ العهد الأموي الى ان استولت
الدولة السعودية على البلاد ، فلقد استشرى شرُّ البادية ، وتسلطوا
— تحت قهر الفاقة والفقر — على الحجاج وغيرهم بالنهب والسلب ،
فقطعوا الطرق ، ونشروا الفوضى ، وخاصة فيما بين مكة
والمدينة ، وما بقرب هاتين المدينتين من الأماكن .

ولقد أراد الله لهذه الجزيرة خيراً فألقى بمقاليده الحكم فيها
الى تلك الدولة ، ومنذ ان انتشر حكمها في الحجاز في سنة
١٣٤٣ هـ والامن مستتب شامل ، والعدل منتشر ، وجميع اهل
هذه المملكة يعيشون عيشة رضا واطمئنان ، وبهذا زالت
العقبة القوية التي تعترض طريق الاصلاح والعمران ، فنالت
مدينة (ينبع) قدراً من ذلك .

العقبة الثانية : غدم الماء العذب في هذه المدينة ، وهذا
من الاسباب التي أثرت اكبر الاثر في تأخرها عمرانياً .

وفي آخر عهد الدولة التركية في حكم البلاد ، جلبت
لمدينة (ينبع) آلة (كنداسة) لتقطير مياه البحر ، وقبلها كانت
الحكومة المصرية — وهي تابعة للدولة التركية — ترسل باخرة
ترسو في الميناء من قرب وقت قدوم الحجاج ، الى ما بعد سفرهم

تقوم بامدادهم بالماء العذب المقطر بواسطتها من ماء البحر .
ثم في عهد الدولة السعودية ، جلبت للمدينة آلة أخرى ، بعد
ان اصبحت الأولى غير صالحة .

غير ان وسيلة تقطير الماء العذب من ماء البحر - مع ما
تكلفه من تكاليف كبيرة - لا يمكن ان تقي بحاجة مدينة
تتطلع الى الاتساع والتقدم العمراني ، ولا بُدَّ لها من توفير
كميات كبيرة من المياه ، لا توفره آلات التقطير .

وهذا ما حمل الحكومة السعودية على القيام بعمل اصلاحي
عظيم ، في سبيل تقدم هذه المدينة ، ورفاهية أهلها ، وهو مَدُّ
الماء العذب بالانابيب ، من ينبع النخل الى (ينبع البحر) وبهذه
الوسيلة تزول العقبة الثانية .

العقبة الثالثة : عدم صلاح الميناء لرسو البواخر الكبيرة ،
قريبة من البلدة .

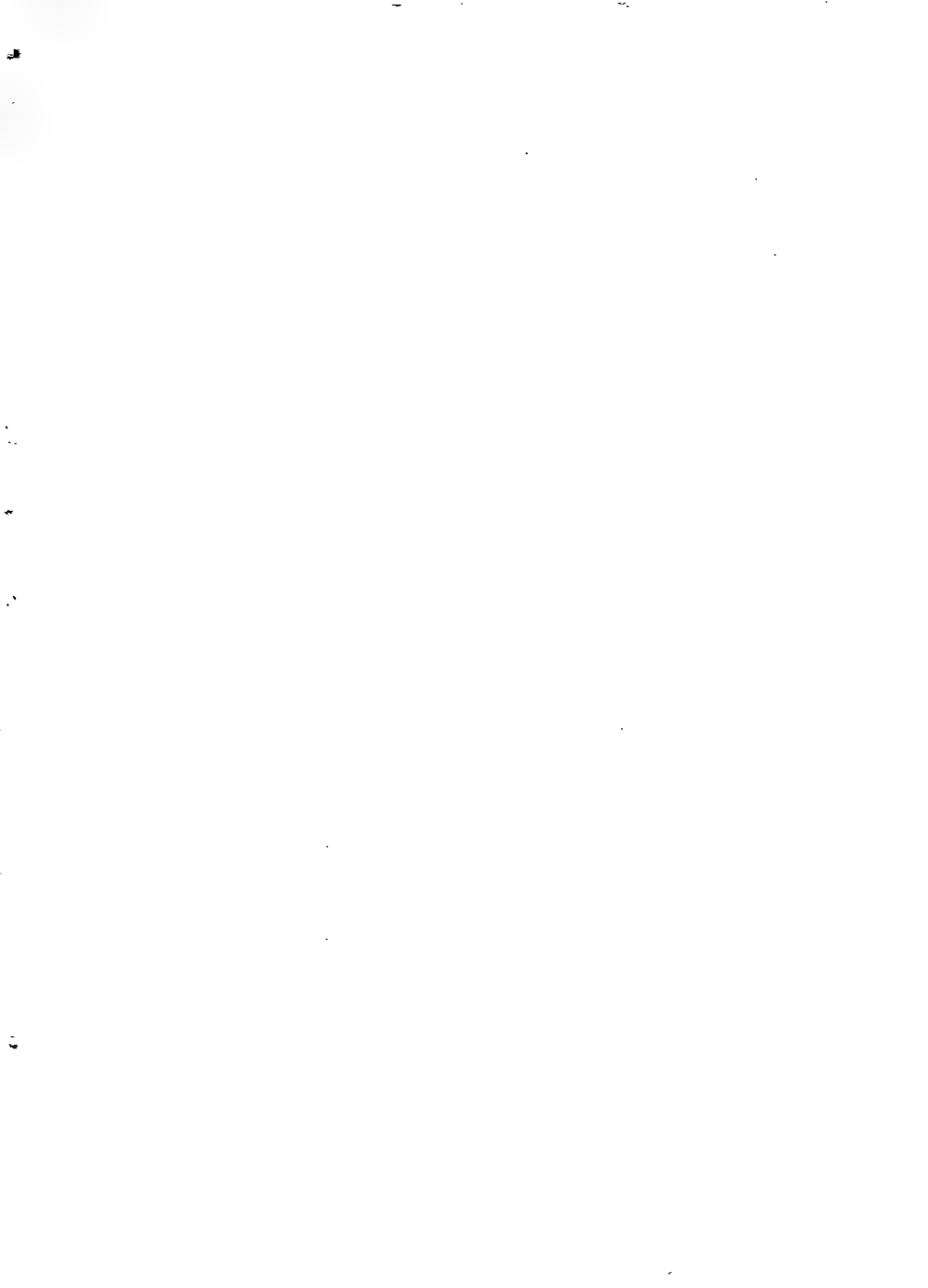
حقاً كان الميناء صالحاً لترفأ فيه السفن الشراعية الصغيرة ،
وقد أصلح اصلاحات عديدة على هذا الاساس ، اما البواخر
الكبيرة فكانت ترسو بعيدة عن الميناء ، واذن فلا بُدَّ من
واسطة نقل اليها ، هي الزوارق ، وكثيراً ما لاقى الحجاج من

جراء ذلك مشقاتٍ ، وتعباً شديداً^(١) ، يضاف الى هذا احتياج الميناء الى توسيع ، وتعميق من جانب البحر ، وغير ذلك مما يتطلبه ميناء يعتبر هو الثاني في الحجاز .

وهذا هو العمل الاصلاحى الجديد الذى قامت به الدولة السعودية .

لقد تمّ اصلاح ميناء ينبع ، اصلاحاً كاملاً صرفت في سبيله عشرات الملايين من الريالات ، - وليس كثيراً ما يصرف في سبيل البناء والتعمير - وانتهى العمل فيه في منتصف العام الماضى (١٣٨٥ هـ) وجرى الاحتفال باتمام ذلك المشروع ، فاستبشر اهل تلك الناحية ، وغمرتهم موجة من التفاؤل ، وبدأ كثير منهم ممن اضطرتهم قسوة الحياة الى الانتقال من بلادهم - بدأوا يعودون اليها مؤملين بأنها ستبلغ من الناحية العمرانية ما يرجوه ويأمله كل انسان ذى غيرة وطنية ، يدرك اهمية هذه المدينة ، وكونها مفتاح البلدة الطيبة (المدينة) عاصمة الاسلام الاولى .

(١) : انظر وصف طرف من ذلك في كتاب (في منزل الوحي) للدكتور محمد حسين هيكل (صفحة ٦٥٣ و ٦٥٤) .



القِسْمُ الثَّالِثُ: انطباعات خاصة

في اول عام ١٣٥٤ هـ ، قدمت مدينة (ينبع) حيث عينت مدرسا في مدرستها الابتدائية ، وامضت في هذه المدينة الكريمة قرابة ٤ سنوات ، الفتها واحببتها ، ووجدت في عشرة اهلها وصحبتهم ما حبيبهم الي ، وطبع نفسي بطابع جعلني اميل الى هذه المدينة ، واجد راحة نفسية حينما اذكر تلك الفترة التي قضيتها فيها ولم أعادها باختيار مني ، ولكنني نقلت الى وظيفة اعلى من وظيفتي ، ورغم تفضيلي البقاء ارغمت على مغادرة هذه البلدة .

تتكون هذه المدينة من محلات ، كل محلة يطلق عليها اسم خاص كغيرها من المدن ، ويحيط بها سور ، وتقع ابنة المدينة في الجهة المحاذية للبحر على امتداده .

وقد بني هذا السور في سنة ١٣٠٤ هـ في عهد والي الحجاز من قبل الحكومة التركية عثمان نوري باشا ويوجد حجر رخامي يحوي تاريخ ذلك البناء واسم ذلك الوالي ، وكان ذلك الحجر مطروحا فوق احدى عتبات مسجد الامارة مقلوبا على وجهه ولا ادري هل لا يزال باقيا ام كسر .

وفي الجهة الشمالية الشرقية من المدينة محلة تدعى (الجزار) وفي جهتها باب يعرف بهذا الاسم ، والظاهر ان الاسم لصق به

لأن المتجبن الى ميناء (الجار) القديم كانوا يذهبون من تلك الجهة .

وفي المدينة ابنية من العهد التركي كان من بينها دارالامارة والميناء وما بقربها من الأبنية الحكومية ، ومنها المدوسة الذي كان بناؤها على الطراز الحديث نوعاً ما في ذلك العهد .

وخارج السور يوجد عدد من الصهاريج المبنية بالصخر والجلص ، لجمع مياه المطر والانتفاع بها في خلال السنة اذ لا يوجد في تلك البلدة ماء عذب لشرب اهلها وانما يؤتى لهم بالماء من مكان بعيد يسمى المسيحلى ، فيما بينها وبين ينبع النخل .

وتقع مقبرة البلدة خارج السور في الناحية الغربية مجاورة لساحل البحر وكان فوق بعض قبورها قباب من اعظمها قبة السيد (زارع) وقد هدمت في سنة ١٣٤٣ هـ وبقيت انقاضها قائمة ، وكانت على درجة من الاحكام والقوة بحيث ان هدمها استلزم ضربها بقذائف من المدفع .

ومن المعروف عدم جواز البناء على القبور وان الشريعة الاسلامية تحرم ذلك .

أمير ينبع: كان أمير المدينة وما يتبعها في سنة ١٣٥٤هـ

هو حمود ابن ابراهيم شقيق الامير عبد العزيز ابن ابراهيم ورحمهما الله ، أمير المدينة ، وكان رجلاً فاضلاً شهما .

وكان له مأثرة خالدة ، هو سعيه في فتح مدرسة لتعليم ابناء البادية ، ولعلها اول مدرسة انشئت في ذلك العهد لهذه الغاية .

ثم خلفه في الامارة الامير حمد ابن عبد العزيز ابن عيسى من سراة اهل شقراء في نجد ، وكان فاضلاً وقد توفي رحمه الله .

سكان المدينة : واغلب سكان المدينة من الاسر

العربية التي انتقلت من صعيد مصر واستوطنت هذه المدينة .

ومن اشهر تلك الاسر : آل زارع ، ويتولى كثير من رجال هذه الاسرة مختلف الوظائف الحكومية ، فمنهم رئيس كتاب الامارة ، ومنهم رئيس محاسبة البلدية ، ومنهم موظفون في المالية والمدرسة وكان منهم مديروها ومن تلك الاسرة من يتولى وظائف اخرى مرموقة خارج هذه المدينة في وظائف الدولة الاخرى ، في الرياض ، وفي جدة ، وفي المنطقة الشرقية .

ومن الاسر الكريمة اسرة السادة (آل سبيه) وكان منهم رئيس التجار السيد مصطفى سبيه وقد توفي الى رحمة الله .

ومن الاسر الكريمة ايضاً اسرة آل الخطيب وكان منهم في ذلك العهد الشيخ مصطفى الخطيب (قائمقام البلدة) .

ومن سراة المدينة الشيخ محمد حامد ابن جبر وكان رجلاً
شها ذا مقام مرموق ، وله ابناء ساروا على طريقته هم عبد
الرحمن وعبد الحميد وعبد الله .

ومن الاسر الكريمة اسرة آل مُقَدِّم ، وآل شاهين ، وآل
الطحلاوي ، والسادة ، وآل النقادي ، وآل خلاف ، وآل ظليمي
وهناك اسر اخرى فاضلة لا تحضرني اسمائها .

وجل هذه الاسر من اهل مدينة ينبع الطارئين عليها .
اما الاسر الاخرى التي هي من اهل البلاد القدماء من
الاشراف ومن قبيلة جهينة ، فقد انتقلوا من ينبع النخل الذي
هو موطنهم الاصلي واستقروا في المدينة بعد ان اتسعت ونمت في
العهد التركي وما بعده من العهود .

واستمتع القارئ عذراً لعدم اتساع المجال لذكر اشهر
هذه الاسر في هذا الموجز .

التعليم في المدينة : كان في مدينة ينبع سنة ١٣٥٤هـ

مدرستان : مدرسة ابتدائية تضم قرابة مئتي تلميذ .

ومدرسة مخصصة لاهل البادية تقوم الحكومة بالانفاق على

طلبتها وايوائهم ، وتعليمهم قد خصص لهم مكان يسكنون
ويتعلمون فيه .

وكان طلاب هذه المدرسة يؤتى بهم من ابناء البادية ، وكثيراً
ما كانوا يهربون من المدرسة لعدم الف ابناء البادية للاستقرار في
المدن ، ولكن الامير حمود رحمه الله كان يولي هذه المدرسة
الكثير من عنايته ، وكان يستعمل الصرامة في قسر بعضهم على
البقاء في هذه المدرسة ، وارجاعه اليها اذا هرب منها على
حد قول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ، ومن يك راحا
فليقسُ أحياناً على من يرحم

ولقد افادت هذه القسوة فكان من هذه المدرسة النواة
الطبية التي رغبت ابناء البادية هناك في التعلم ، واوجدت منهم
شباباً تقدم الى التعلم في عهد مبكر ، واصبح الآن يتولى اعمالا
حكومية نافعة . منهم عيد بن سليمان ، تولى ادارة مدرسة ينبع ،
واخوه عودة بن سليمان ، أول من تولى ادارة مدرسة الجمعة ، في
نجد ، وعائش بن حسين ، اصبح مفتشاً في وزارة المالية وغيرهم
من شباب (جهينة) النجباء .

ومما يؤسف له ان المدرسة بعد نقل الامير حمود من امانة
ينبع بدأ امرها يضعف حتى زالت وهكذا كل عمل نافع يفقد

من له أثر في إيجاده ، لا يلبث ان يتلاشى ، مهما كان نافعاً .

اما المدرسة الابتدائية فقد انشئت في عهد الحكومة التركية
ثم استمرت الى العهد الحاضر .

وكان من اول من تولي ادارتها عالم فاضل من اهل الشام
ومن خريجي الازهر يدعى الشيخ راغب القباني ، ولكن عهد
ادارته لم يطل ، وكان عالماً اكثر منه مريباً .

وقد اصيب اثناء وجوده هناك بمحاذنة اثرت في نفسيته
تأثيراً كبيراً . ذلك انه كان متزوجاً بزوجة من اهل تلك
البلدة ، وكان يحبها ، وصادف ان كان يلقي وعظاً في المسجد
بعد العصر على العامة فتكلم بكلام نقل الى القاضي ، وهو
المرحوم الشيخ سليمان السحيمي .

فلما دعاه القاضي وسأله عن ذلك الكلام انكر ، وعلق
طلاق زوجته بثبوت نسبة ذلك الكلام اليه ، فشهد شهود على
انه تكلم به ، ففرق القاضي بينه وبين زوجته فأصيب بنوع من
البلبلة الفكرية ، وكانت الحادثة جرت عليه قبل تعيينه في
ادارة هذه المدرسة اذ كان مديراً للمدرسة (الوجه) ثم نقل الى مدرسة
(ينبع) وبقي متأثراً بما حدث له .

ولقد ظهرت آثار ذلك التأثر في دفاتر المدرسة وسجلاتها ،

فقد كان يسجل في دفتر المكاتبات الرسمية كتب الاستعطاف التي يوجهها الى والد زوجته ، وكان يبدأها بحملة : (حضرة صاحب الجلالة الوالد خليل علام) وهو والد الزوجة . وفي اوراق اخرى بقيت في المدرسة ، وقد كان مدير المعارف في ذلك العهد المرحوم الشيخ محمد امين فودة فكان الشيخ راغب يكتب اليه بعض الكتابات التي يجد فيها الشيخ امين ما لا يناسب فكان يقسو عليه في الجواب ، وما كان يعرف ما جرى للشيخ .

ثم نقل الشيخ راغب رحمه الله الى ادارة اول مدرسة انشئت في الاحساء وعين مكانه في ادارة مدينة ينبع الاستاذ احمد ابو بكر زارع من اسرة آل زارع .

ثم عين بعده الاستاذ الشيخ محمد علي النحاس . والشيخ النحاس رحمه الله من اول بعثة مصرية وفدت على هذه البلاد في عهد ادارة الشيخ حافظ وهبه للمعارف ، ثم نقل الشيخ النحاس الى الاحساء واسندت ادارة تلك المدرسة اليه .

وكان من بين مدرسيها عالم فاضل هو الشيخ عبدالغني مشرف من اهل المدينة المنورة ، وقد استوطن ينبع مدة من الزمن ، ثم استقال من التعليم واسندت اليه وظيفة القضاء في بلدة ضبا واخيراً استقال وعاد الى المدينة .

وكان الشيخ عبد الغني مشرف من خيرة الرجال الذين عرفتهم
و كسبت صداقتهم ، في تلك المدينة ، ومع ان دراسته كانت
دينية الا ان اطلاعه كان واسعا ، وكان ذا رغبة قوية في مطالعة
اي كتاب ، في اي علم من العلوم ، ولهذا فكثير ما كنا
نقضي امسيات الايام خارج المدينة ومعنا ما نحصل عليه من
الكتب ، التي وصلت اليها حديثة ، وعندما نقرأ خبر نشر
كتاب نسارع الى طلبه من مصر ، وكانت المواصلات بين ينبع
وبين مصر منتظمة وفي كل اسبوع ، وقد اعتدنا ان نخرج بعد
صلاة العصر ويكون معنا في الغالب رجل ينبعي كريم يدعى
محمد العبيسي كان عضواً في المجلس البلدي . نخرج خارج البلدة
نجلس في ظل احد الصهاريج نطالع ونقرأ ، ونبحث مسائل
ادبية حتى تغرب الشمس ، فنصلي هناك ثم يعود كل واحد منا
الى حيث يمضي ليلته .

ومن اساتذة المدرسة في ذلك العهد استاذ يدعى السيد
رضوان محمد رابع ، من اهل بلدة (الزبير) وكان رحمه الله ان
كان ميتاً ، وذكره الله بالخير ان كان حياً ، ذا شخصية لطيفة ،
فهو يعرف كل شيء ، ويحيد كل علم ، ويتكلم الانكليزية
ويدرسها ، ويحيد العربية ويكتب بها هكذا يرى نفسه ، ويشاهد

المرء بين كتبه كثيراً من القواميس الافرنجية والكتب العربية الحديثة
بجوار (مجلات الدّيرِيّ) و(تذكّرة داوود الانطاكي) وامثالهما
من الكتب الخرافية ويسمع من آرائه عن النظريات الحديثة ما
يدهش، ومن الاعتقادات الخرافية ما لا يصدق عقله. وكان
طرازاً غريباً في حياته البتية.

من ذكريات تلك المدرسة : اسند الي

تدريس المحفوظات ، فكان اول درس قمت به امام طلاب
السنة السادسة شرح ابيات من قصيدة ابي العلاء المعري المعروفة :
الا في سبيل المجد ما انا فاعل ؟

عفاف ، واقدام ، وحزم ، ونائل

و كنت قد راجعت شرح بعض مفرداتها ومنها البيت التالي :

يهم الليالي بعض ما انا مضمّر

ويثقل رضى دون ما انا حامل

فكان مما قلت في اول يوم دخلت المدرسة ، وفي اول درس
القيته : رضى جبل قريب من المدينة ، سهل ، ترقاه الابل ،
ولعلي رجعت في ذلك الى احد شروح مقامات الحريري ، فمما كان
من الطلاب عندما سمعوا هذا الكلام مني الا ان قالوا بصوت
واحد : لا يا استاذ ! ها هو رضى امامك - وكانت النافذة

مفتوحة - وليس قريباً من المدينة ، ولا تستطيع الابل
ان ترقى اعلاه .

سررت من هذا التصحيح ، وشكرت الطلاب ، وبينت لهم
ان اكثر الذين يحددون المواضع في بلاد العرب كانوا يعتمدون
على النقل ، وما كانوا يكتبون عن مشاهدة فجاءت كتاباتهم
ناقصة خاطئة ، وحدث لتلاميذي موقفهم .

رب ضارة نافعة : لا ازال اذكر لهذه المدينة الكريمة

بداعي لن انساها وان لم يكن لها الاثر المباشر فيها ، إلا انني ارى
الفضل يرجع اليها ، ذلك انني مكثت اول ما قدمت اليها وقتاً
قصيراً في ضيافة اميرها ، ثم رأيت بعد ان احتاج الامير الجديد
إلى المكان الذي كنت اسكنه وهو تابع للامارة ، رأيت ان
اسكن في المدرسة وان اقوم بشؤوني الخاصة من حيث المعيشة
ومكثت على ذلك فترة من الزمن ، الا انني فوجئت بتأخر
حرف الراتب الشهري ، لا لي وحدي ، بل لجميع موظفي الدولة
وبقيت سبعة شهور اضطرت بعدها الى ان ابيع بعض كتيبي .
والكتاب الذي رأيته مرغوباً هو « معجم البلدان » لياقوت
الحموي وقد كنت نقدت فيه ١٥٠ ريالاً الا ان الراغب بشرائه لم
يدفع لي سوى ٦٠ ريالاً ، وتحت تأثير الحاجة قبلت البيع ،

ولكنني رجوت ان يبقية عندي شهراً ، وفي خلال ذلك الشهر
قمت بنقل ما يتعلق بتعريف امكنة الجزيرة ومواقعها ، وكنت
امضي كل وقت فراغي في النقل خوفاً من ان ينتهي الشهر قبل
انتهاء ما اريد نقله .

لقد اصبح لدى بعد هذا العمل ميل "قوي" ورغبة شديدة في
تعرف اماكن بلادنا ، بل اتجهت اتجاهاً تاماً الى هذه الناحية فيما
بعد ، واصبحت اجد في ذلك متعة آية متعة . ولإذن فأنني قد
تلقيت في هذه البلدة الطيبة درساً نافعا مفيداً في توجيهي الى
هذه الوجهة . ومن يدري فقد تكون لي وجهة اخرى لو لم
يجر لي ما جرى ؟!

حقاً انني قد عرفت رجالا في هذه المدينة على جانب كبير من
الكرم والوفاء ، ولطف الخلال ، الا ان من عاداتي الانقباض
والاستغناء ما اغناني الله ، وعلى ذكر هؤلاء الذين عرفتهم يحسن
ان اسرد اسماء رجال اجتمعت بهم في هذه المدينة ، او عرفتهم
ولن اذكر كل ما يجب ان يذكر عنهم ولا كل من ينبغي ذكرهم
ولكنني اكتفي بالاشارة ، خوفاً من التطويل .

رجال عرفتهم او اجتمعت بهم :
ومن عرفتهم في هذه البلدة الكريمة ، رجل كريم ، سمح الخلق ، مرح

النفس فاضل على جانب كبير من اليسار، هو الشيخ ابراهيم ابن مسفر
آل بشر ، من بلدة (الافلاج) وقد قدم الى ينبع بعد استيلاء الدولة
السعودية على الحجاز بزم قصير ، فتولى امامة جامع الامارة
واستوطن في ينبع فاصبح يَنْبُعِيًّا .

جاء وقت الصيف فدعاني لقضائه في ينبع النخل وفي بلدة
(سويقة) ^(١) حيث يملك فيها بستاناً جميلاً .

لقد استجبت لدعوته الكريمة ، فامضيت صيفاً جميلاً هناك .
وكانت البلاد في ذلك العهد على جانب كبير من الازدهار ،
فكانت عيون ينبع ذات مياه قوية ، وكانت الحدائق والبساتين
الجميلة عندما يراها الانسان تخللها الانهار الجارية يجدها غاية الانشراح
والسرور مضافاً الى ذلك ما يتصف به اهل تلك البلاد من الكرم .

(١) : تقدمت الاشارة الى (سُويقة) هذه مراراً . وقد
انجبت عدداً كبيراً من رجال العلم والسياسة والشجاعة ، من
اشهرهم عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابي طالب (رحمهم الله)
وكان من العلماء والشعراء ، روى عنه الامام مالك بن أنس ،
وترجمه صاحب الاغانى (٢٠٣/١٨) طبعه الساسي ، ولد سنة
١٧٠ وتوفي في سجن المنصور في الهاشمية في الكوفة سنة ١٤٥ -
ومن شعره :

ان عيني تعودت كحل هند
جمعت كفتها مع الرفق لينا
ومنه :

يا هند إنك لو علي
تبعاذلين ، تتابعنا
قالا ، فلم اسمع لما
قالا ، وقلت : بل استمعا :
هند أحب إلي من
مالي ، وروحي ، فارجعا
ولقد عصيت عواذلي
وأطعت قلباً موجعا

وكان واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد - شيخا المعتزلة -
يأتیان اليه في بلدته (سويقة) يتلقيان عنه العلم . وعبدالله هذا
انجب ابناء كثيرين ، احدثوا أثراً كبيراً في العالم الاسلامي منهم :
١ - محمد الذي خرج على الخلافة العباسية في عهد الخليفة
المنصور ، فاستولى على المدينة ، ثم قتل في شهر رمضان فيها سنة
١٤٥ هـ - ويعرف محمد هذا بـ (النفس الزكية) .

٢ - ابراهيم : ثار في عهد المنصور ايضاً ، واستولى على البصرة ، ثم قتل في شهر ذي القعدة سنة ١٤٥ - ايضاً عن ٤٨ عاماً -

وابراهيم هذا هو جد الاشراف اهل (ينبع) وقد شمل اسمه قسماً كبيراً من قبيلة جهينة ، لاختلاط الاشراف اولئك بهم ، ومحالفهم ، بل طغى هذا الاسم حتى كان يطلق في القرن العاشر على قبيلة جهينة بأسرها .

٣ - يحيى وقد خرج في عهد الرشيد في (الديلم) فالقي القبض عليه ، ومات في السجن .

٤ - سليمان : قتل بفسخ ، (وادي الزاهر) بمكة ، في عهد الهادي .

٥ - ادريس : هرب إلى المغرب ، وكوّن هناك دولة الأدارسة المعروفة .

٦ - موسى : حبسه المنصور ، ثم خلى سبيله ، وهو جد (بني الأخيضر) الذي كونوا لهم دولة في (اليمامة) في منتصف القرن الثالث الهجري - وبالأجمال : فان تاريسخ بلدة سويقة حافل بالمأسي ، والحوادث ، مما لا تتسع لذكره هذه الصفحات القليلة .

و كنت امضي بياض النهار بين الحداثق ، فقد هيا لي مضيفي
الكريم منزلا في بستانه بين النخيل واشجار الليمون ، وعلى
جانب النهر ، فعندما اتناول طعام الافطار ، اقوم بجولة بين
النخيل ، وفي بعض الاودية القريبة منها ، وفوق التلال المرتفعة ،
وعندما انتهي من رياضي اعود الى مكاني في البستان ، في ظلال
شجرة كبيرة من اشجار الليمون ، ويحيط بالبستان اشجار
الحشائ التي تنبعث روائح « الفاغية » منها تعطر الجو بأريجها ،
فأمضي بياض النهار حتى تنكسر حرارة الشمس داخل البستان ،
ومعي مجموعة من الكتب التي ارجب مطالعتها ، وقد علقت في
احد الفصوص من شجرة الليمون (شتاً) قرية لتبريد الماء ،
و كنت اجمع من الليمون كميات كبيرة ، واعصرها في الماء ،
وكان مضيفي يقدق علي من كومه ، ومما يحود به بستانه من
صنوف الفواكه والخضر . وعندما احس بحرارة الجو انزل في
النهر وامضي فيه وقتاً ممتعاً .

لقد امضيتها أياماً من اجل ايام العمر ، واعمقها بالذكريات
الطبية في نفسي ، كل وقت الصيف .

الشيخ محمد بن جبر : ومن سراة ينبع الذين عرفتهم الشيخ
محمد ابن جبر وكان على جانب كبير من الثراء ، ويملك في قرية

(المبارك) بستاناً كبيراً ، وكان كثيراً ما يدعوني لضيافته ،
وكان موضع بستانه في المبارك في متسع الوادي ويشاهد المرء
من قرب ساحل البحر على امتداد النظر وكثيراً ما كنت وانا
اقوم بجولة في تلك الناحية اذكر قول الشاعر الينبعي ، الذي
كان كثيراً ما يثني على بلده ينبع .

روي البكري في معجم مستعجم ان العباس بن الحسن كان
يكثر صفة ينبع للخليفة الرشيد ، فقال له يوماً : قرب لي
صفتها . فقال : —

يا وادي القَصْر ، نعم القصرُ والوادي
من منزل حاضِر ، إن شئت أو بادي
تُلْفَى (قَرَاقِيرُهُ) بالعَقْر واقفة
و (الضبُّ) و (النون) والملاحُ والحادي

القَرَاقِير : جمع قرقور وهي السفينة العظيمة — والعقر هنا
وسط الحبل — : اي ان السفن ترفأ على الشاطئ ، ليست بعيدة عن
البلد . والنون : الحوت . والملاح : رباب السفينة . والحادي
حادي الابل . ولقد صدق هذا الشاعر فانت في ينبع النخل ان
شئت كنت حضرياً وان شئت كنت بدوياً ، فتجد محاسن
البدوة والحضارة مجتمعة هناك .

ولقد زرت الشيخ ابن جبر رحمه الله في آخر حياته عندما
ضعفت الاحوال في ينبع فانتقل الى مصر واستوطنها ، وان انس
لا انسى آخر زيارة لي اياه وهو يودعني ويبكي عندما ذكرت
له احدى المرات التي اكرمني فيها فدعاني الى المبارك ، وتذكرونا
تلك السويغات الجميلة .

رجال آخرون : ومن عرفتهم في ينبع وانا لا اريد
الاستقصاء والحصر ولكن مجرد الذكر (السيد مصطفى سُبَيْه)
وكان رئيس التجار وكان على جانب عظيم من سلامة النفس ،
ولطف الخلق ، والشيخ مصطفى الخطيب وكان يتولى وظيفة
(قائمقام) في ينبع .

والشيخ محمد بن جبارة احد كبار مشايخ جهينة والشيخ
عبد الكريم بن 'بديوي من (ذوي هَجَار) امرء ينبع منذ
المهد القديم ، من الاشراف .

والشيخ سالم شاهين وكنت عندما اجتمع به اذكر
قول الشاعر : -

انا الرُّجُلُ الضَّرْبُ الذي تعرفونه

خَشَّاشُ كَرَامِ الحَيَّةِ المَتَوَقِّدِ

والشيخ سالم رحمه الله وان كان حضرياً الا انه يتصف بصفات

رجال البداوة الكريمة ، وكانت كثير الاسفار ، عليا بمواضع
تلك البلاد ، يتصف بالهدوء والرزانة ، واذا تحدث يتحدث بصمت
ووقار ، حتى لا يكاد يُسمع .

ولقد حدثني عن اماكن اثرية تقع فيما بين (ينبع)
وبين (العيص) .

واخبرني ان هناك امكنة اثرية .

منها (قصر البنت) وهو قصر مبني بالصخر ، وفوق
بعض احجاره نقوش ، وفي احد تلك الاحجار آثار كُفٍّ ،
يروى العامة عن هذا القصر خرافة قد يكون لها اصل من الناحية
التاريخية ، يقولون : سمي قصر « البنت » لان فتاة كانت تسكن
فيه في العصور الجاهلية ، وكانت تلك الفتاة تعيش وحيدة ،
وكثيراً ما كانت تأنس بالقمر عندما يطل عليها من المشرق ،
فتعبر عن جماله بكلمات توجهها اليه ، تصفه فيها وتناجيها ، وكان
لها عدو وهي فتاة من لداتها ، فأرادت ان توقع بها مكروهاً ،
فقالت لأخيها : ان اختك عاشق ، وعشيقها يأتي اليها ليلاً ،
وعندما يطلع القمر ، واذا اردت التأكد من قولي فاذهب إلى
قصرها عند طلوع القمر ، واستمع اليها ، فما كان من أخيها ، الا
ان صدق هذا القول ، واتي اثناء الليل ، فلما انتشر ضوء القمر

سمع اخته وهي تناجي القمر كعادتها ، فدخل القصر مسرعاً ،
وضرب اخته برمحه ضربة اردتها صريعة ، فوضعت يدها على
مكان الطعنة ثم حملتها وضربت بها الجدار ، وهي تتشخط
بدمائها ، فبقي اثر الكف في الجدار ، لا يزال بارزاً على ما
يقولون . وقد يكون اثر نقش او صورة قديمة زالت معالمها ،
ولم يبق سوى هذا الاثر .

وعلى ذكر الآثار في (ينبع) يشاهد المرء عندما يقبل على
ينبع النخل جبلاً صغيراً مستديراً فوقه صخرة كبيرة يسمى
هذا الجبل (لؤلؤة) ويعتقد اهل تلك البلاد بأنه من آثار اليهود .
وفوق الجبل صخرة فيها نقوش ، وقد صورها الاستاذ ياسين
الجدّاوي ^(١) وهو من اهل ينبع وكان وكيلًا لشركة البواخر
الخديوية ، صورها وارسلها الى احد المختصين بدراسة الآثار في
(جامعة القاهرة) وعند فحصها جاءه الجواب بان تلك النقوش
اما ان تكون من آثار الاعراب (أو سميتهم ، جمع وسم)
أو انها حروف لأبجدية لا تزال مجهولة ،

(١) : بيت الجدّاوي ، بيت معروف في القاهرة ومنهم
الاستاذ ياسين هذا وهم من بلدة مصرية ، تدعى (جدّبة)
وليسوا منسوبين الى (جدة) .

وعلى ذكر الاستاذ ياسين لا يفوتني ان اشير الى ما يتصف به
من ادب وسعة اطلاع وكرم نفس .

ومما يتصل بالآثار : يشاهد المرء كتابات عربية في صخور
الجبال الواقعة قرب (سويقة) وغيرها من قرى (ينبع النخل)
وقد قرأت أسماء بالخط الكوفي فيها (الخزرجي) و (الانصاري)
ويظهر ان اناساً من الخزرج انتقلوا الى (ينبع النخل) في صدر
الاسلام ، ويؤيد هذا ان مسعر بن مهلهل صاحب الكتاب الذي
وصف به بعض بلاد الشرق وهو خزرجي ينتمي .

ومن اهم آثار ينبع الاسلامية (مسجد العشيرة) الذي
يروى المؤرخون ان رسول الله (ص) صلى فيه حينما غزا (غزوة
العشيرة) . وكان معروفاً الى القرن العاشر ، بعد ان درست
(عشيرة) وبقي من عيونها (عين البركة) التي لا تزال معروفة
وقد سبقت الاشارة اليه في مواضع (والمُكْرَرُ يَجْلُو)
كما يقولون .

لا يخفى (ان ينبع النخل) كانت موطناً لعلي وبنيه رضي
الله عنه ، ولعل هذا يفسر لنا ما ذكره المؤرخون من اثار
نبوية وهي شعرات واشياء اخرى تنسب الى الرسول (ص)
كانت لدى (بني ابراهيم) الاشراف من (ينبع) ويروى ابن
ياس في بدائع الزهور (٦٩/٤) ان الصاحب بهاء الدين ابن

حنا احد المصريين المعروفين اشتري الآثار النبوية من بني
ابراهيم اهل (ينع) بستين الف درهم ، من الدراهم القديمة ،
ثم نقلها إلى الديار المصرية ، وبنّا لها مسجداً مطلاً على النيل) .

ان من اجمل ما يشاهده المرء في تلك الجهات (ساحل
رَضْوَى) ذلك الجبل المطل على (ينع النخل) والشاطيء
القريب منه ، شاطيء رملي ، (كأنّ حصاهه دُرٌّ وَّمرنجان)
كما يقول الشاعر : وهو في متسع من الارض ، بحيث يصلح
أن يكون في وقت الصيف من اجمل الشواطيء متى تناولته يد
الاصلاح بالتنظيم .

هناك رجال كثيرون عرفتهم ، او اجتمعت بهم ، لا يتسع
المقام لذكرهم ، ولكن لا انسى من بينهم الشيخ سعد ابن غنيم
أحد مشايخ جهينة ، انه يمثل العربي بكرمه وبمظهره ، وكثيراً ما
كنت عندما اراه اذكر عقيل بن عُلفَةَ المُرِّي ، احد رجال
العرب في صدر الاسلام واحد شعرائهم .

يروون عن عقيل بن علفه ان امير المدينة خطب منه احدى
بناته قائلاً : « زوجني بنتك » فأجابه : « أبكرة من ابلي تريد ؟ »
فكرر عليه الكلام ، فأجابه بمثل جوابه الاول ، وفي المرة
الثالثة قال له : « ألم تسمع ما قلت لك ؟ » فقال : « قد سمعت

واجبتك ان اردت بكرة من ابلي فهي لك ، اما بناتي فلست
 لهن بكفاء ، !! ويروون عنه انه دخل على احد الامراء وقد
 لبس خفين جديدين ، وهو يضرب الارض بهما ، مما استرعى
 انتباه الحاضرين عند الامير ، فاتجهوا اليه ينظرونه فقال له الامير :
 « اتدري مم يتعجب هؤلاء ؟ ! » قال : لا ! قال : « انهم
 يتعجبون منك من فظاظتك وغلظ طبعك » فقال : « لا : أيها
 الامير ، ولكنهم يتعجبون من زمان اصبحت فيه اميراً » !

ويروون عن عقيل ايضاً انه دخل على عمر بن عبد العزيز
 رحمه الله ، فقال له عمر : « اني لاظنك جلفاً جافياً ، لا تحسن
 من القرآن شيئاً » فقال : « بلى والله اني لاحسن الكثير » فقال :
 « اقرأ فقرأ (سورة الزلزلة) وقال : (فمن يعمل مثقال
 ذرة شراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) فقال له
 الخليفة : « لم يقل الله هكذا وانما بدأ بالخير » فقال عقيل :

« خذاً أنف (هرشا^(١) أوقفها قائماً

كلا جانبي (هرشا) لهن طريق

(١) : هرشى : ثنية بقرب « رابغ » يمر طريق مكة
 الى المدينة من جانبها ، وهي عقبة وقد سهلت ، وتحرّف
 الآن قسمي « حرشاً » بالحاء .

وروى عن الشيخ سعد بن غنيم انه تقدم للصلاة مع جماعة في
احدى المرات وكان ابنه الشيخ صيَّاح اقرأ منه ، فتقدم اماماً
بالحاضرين ، ومنهم أبوه ، وفي اثناء الصلاة : تقدم الشيخ سعد ،
وجرّ ابنه الى الخلف قائلاً : والله لا تتقدمني وانا حيّ .

ويروون عنه انه يقول مشيراً الى بطنه : « في هذا البطن ٦٠
لحية على وَصَحِ النِّقَا ، اما غيرهم فكثيرون » . مُدَلِّلًا على
شجاعته ، وكثرة من قتل ممن يستحق القتل من اعدائه .

وعلى ذكر الشيخ سعد اذكر ان من عادة الموظفين في يوم
الجمعة الحضور بعد صلاتها الى مجلس الامير ، وفي احدى المرات
كان من بين الحاضرين مدير الشرطة الشيخ (ابراهيم الرشيد)
ومن عادته ان يلفت الانتظار بكثرة حديثه في مثل ذلك المجلس ،
إلا انه في تلك المرة بدى صامتاً كل الوقت ، فقال له الامير :
« لماذا لم تتكلم يا ابراهيم وكأنك محزون ؟ » فاجاب : نعم
لقد توفي اليوم عظيم من عظماء العالم ، هو جورج الخامس ملك
بريطانيا ، فقال : الامير : ليذهب الى (...) فرفع ابراهيم
رأسه وراى الشيخ سَعْدًا جالساً بجوار الامير ، فقال موجهاً
الكلام للامير : « والشيخ سعد اين يذهب ؟ » فاجاب : « الى الجنة
ان شاء الله » فلم يتالك مدير الشرطة ان تكلم بكلام لا
يليق ذكره .

ومدير الشرطة هذا من الشخصيات التي لا تتسى لخفة روحه ،
وغرابة أطواره ، وهو نجدي عاش في العراق دهرأ ثم انتقل الى
مكة ، وصاهر (بيت المطاني) وكان صديقاً لمدير الامن العام
(مهدي المصلح) .

وممن عرفت في هذه البلدة الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله
الرئيسي) وكان في ذلك العهد (مأمور خفر السواحل) ويسكن
في بيت صغير ، في طرف المدينة الشمالي على ساحل البحر ، بني
حديثاً وكان هذا البيت مجعاً لطائفة من موظفي تلك البلدة ،
منهم الشيخ محمد العثمان الناجم مدير المالية ، والشيخ ابراهيم
الرئيسي مدير الشرطة ، والشيخ محمد الصالح المضيان مدير
المرفأ والشيخ محمد الصالح التركي المفتش في دائرة الرسوم
(الجمارك) وكتب هذه السطور .

كان الاجتماع يبدأ بعد صلاة العصر ويمتد الى الساعة الرابعة
ليلاً ، وكان المجتمعون يمضون الوقت في بعض الالاب المسلية
اليدوية ، وفي كثير من الاحيان في صيد السمك ، والسمك في
تلك الناحية موفور بكثرة ، والمكان جميل ، ولا يحيط به
شيء من الابنية ، ولهذا فهو في وقت الصيف مما يجلب الراحة
ويخفف شدة الحر ، وكان المجتمعون يتناوبون طبخ (العشاء)
فأونة يعملونه من (الصيادية) واخرى من (المصعدوس) وثالثة
من (فريك الدخن) وكان الشيخ محمد المضيان رحمه الله ورحم

الجميع فقد انتقلوا الى رحمة الله سوى الشيخ محمد الصالح التركي
والشيخ عبد العزيز الرشيد امد الله في عمرهما . كان الشيخ محمد
المضيان بجيد طبخ (المرقوق) وهي أكلة نجدية ، ولهذا أضاف الى
اسمه احد الظرفاء هذا الاسم ، تمييزاً بينه وبين تسميته ، وكان
رحمه الله ذا نفس رضية ، وصدر رحب ، لم أره يوماً من الايام
غاضباً مهما وجه اليه مما يغضب ، وكان الشيخ عبد العزيز الرشيد
كريم النفس ، سمح الخلق ، لا اذكر يوماً من الايام انني رأيت
منه تأفقاً امام زائر ، او احد من اخوانه ، على كثرة ترددهم عليه ،
 واجتماعهم في بيته .

كانت تلك الليالي التي امضيتها في (ينبع) من امتع ليالي
العمر ، ومن ابقاها ذكراً بحيث اصبحت انظر الى تلك البلدة
نظرة خاصة ، واحل لها في نفسي من جميل الذكريات
الشيء الكثير .

هناك فئتان عرفتهما حق المعرفة ، ووجدت من اثر معرفتهما
في نفسي ما يستوجب ذكرهما إلا انني لا اجد في هذه اللوحات
السريعة ما يتسع لذلك ، احدى هاتين الفئتين امير بلدة الشيخ
(حمد بن عبد العزيز ابن عيسى) وابناؤه عبد العزيز ومحمد
وعبد الله ، ورجال حاشيته .

والفئة الثانية ابنائي وتلاميذي من طلاب المدرسة الذين

وجدت من محبتهم والفهم ما جعلني ادع الحديث عنهم لهم
انفسهم ، يتحدثون عني وعن الايام التي قضيتها في مدرستهم وهي
في الحقيقة سنين وليست اياماً ولكن كما يقول الشاعر :
(وايام السرور قصار) . يتحدثون كما يشاؤون

وعلى ذكر المدرسة وتلاميذها ارى تسجيل ناحية خاصة بي،
ذلك انني بعد ان اصبحت مديراً لتلك المدرسة ، كنت افضل
تدريس الاطفال الصغار ، وفي الفصول الاولى ، لامرين : احدهما :
ان كثيراً من المدرسين يفضلون التدريس في الفصول العليا ،
ويرون اسناد التدريس اليهم في الفصول الاولى امراً يترفعون
عنه ، معتقدين انه لا يتولى ذلك الامن هو قاصر في معلوماته
وفي ادراكه ، ولكنني اخالفهم في ذلك فأرى ان الفصول
الاولى هي التي يقوم عليها بناء التدريس ، وهي التي يجب ان
يتولاها اكفأ الاساتذة واعمقهم ادراكاً لنفسية الطفل ، واقدرهم
على تحبيب الدراسة لنفوس الصبية الصغار ، بحيث يندفعون في
مستقبل حياتهم الى التعلم ، ويحبون العلم ، ويألفون المدرسة ،
وكنت كثيراً ما صبغت دروسي لهؤلاء بالصبغة التي تحببهم
وترغبهم ، وتجعلهم يقبلون على تلقي دروسهم برغبة شديدة .

لا اطيل في هذا الموضوع ، فالافاضة فيه من اختصاص رجال
التربية والتعليم ولكنني اريد ان يكون من حديثي فيه مدخلا

الى القول بانني ا كتسبت صداقة عدد غير قليل من شباب تلك
البلدة الكريمة اجمل كثيراً منهم .

وبالمناسبة فلم انس زملاء لي في التدريس نسيت اسماء كثير
منهم وبقي في ذاكرتي منهم الاستاذ جميل معيلف والاستاذ
سليمان خلاّف .

ولقد ا كتسبت صداقة عدد غير قليل من موظفي تلك المدينة
من اهلها ممن لا استطيع حصر اسمائهم .

الدكتور محمد حسين هيكل يزور ينبع : واثناء اقامتي في
ينبع زارها الاستاذ محمد حسين هيكل باشا العالم المصري المعروف
ومؤلف كتاب (حياة محمد) وكتاب (في منزل الوحي)
وغيرهما من المؤلفات الكثيرة ، وقد زرتة انا والاستاذ محمد علي
النحاس رحمه الله وكان الشيخ النحاس اذ ذاك مديراً للمدرسة
و كنت معاوناً له ، وقد وجدناه على حالة نفسية من القلق ، لرغبته
بسرعة العودة الى مصر ، فكان لا يرغب الاسترسال كثيراً في
الحديث ، وقد اشار الى زيارته لهذه المدينة في كتابه في (منزل
الوحي) ومما قال عن ذلك : (اصبحت بينبع مطمئناً سعيداً
وهبطت الى غرفة الاستقبال ، فالتقيت بها قوماً من اهل البلد ،
تفضلوا بزيارتي ، فلما تبادلنا الحديث عجت ان تكون لهجة
احدهم ادنى الى المصرية ، وحسبت السبب في ذلك محاذاة ينبع

مصر ، لكن الرجل اسرع فذكر لي انه مصري المولد ، وان له
بينبع بضع^(١) سنوات احترف فيها مهنة التعليم ، وان به الى مصر
هوى ، لولا ما يمسكه من لطف اهل البادية ، ومن شفقه
بالاماكن المقدسة^(٢) .

وقال ايضاً :

(وخرجت من الدار مع اصحابي لزيارة أمير ينبع ، فعلمت
منه ان « زمزم » رست في الميناء وانها قيد النظر ، وشربنا
القهوة النجدية والشاي ، واجتمعنا بذلك العود الذكي الرائحة ،
والذائع الصيت اليوم في البيئات الرسمية بالحجاز ، وتناولنا حديث
سفر زمزم ومرفأ ينبع ، وما يحده المتنقل منه الى البواخر
الكبيرة من مشقة ، اذ تنقله الزوارق الصغيرة من الشاطئ واليها
في بحر مضطرب الموج ، في اكثر الاحايين ، وتابعنا الأحاديث
في اتصال البلاد التي تتكلم العربية جميعاً ، وفي سهولة المواصلات
بينها ، وفيما أدنى ذلك اليه من ارتباطها من قبل الوحدة
الامبرطورية الاسلامية ، وأسفنا لجناية الدهر على هذه الروابط
ولتفريط المسلمين في العمل على اعادتها . وانتهينا من ذلك الى
حلو الاماني ، ولم يكن حديثنا في هذا كله ليتعمق في الامور ،

(١) : يعني الشيخ النحاس ، وكان له في الحجاز لا في ينبع .

(٢) : في منزل الوحي (٦٥١) .

او يقصد الى شيء من الوقوف على اسرارها .

فينبع بلد صغير ، واهله واميره ، وحاشية الامير في اكثر
عناية بشؤونهم المحلية الخاصة بهم بشؤون التاريخ واطوار
الحياة ، وهم كآعيان ريفنا المصري ، كرمأ وترحيبا ، وحسن
لُفُيَا ، ولقد غادرتهم شاكر لطفهم ، شاكرأ للامير ما ابدى
من حرص على طمأنيني حتى ابلغ الباخرة ، ذاكرأ له ان مضيبي
واهله قد بلغوا من هذا الحرص ما طوقوا به عنقي^(١) وما جعل
لهم عندي يدا لا تنسى .

وانطلقنا في ميادين فسيحة من أرض ينبع ، نبتغي الشاطئ ،
حيث ضربت (البعثة الطبية المصرية) خيامها ، فشربنا القهوة
المصرية ، وقضينا من الوقت ما بقي الى الظهر ، وعدنا الى الدار ،
فاقمنا بها ، فلما اقترب المساء اقبل علينا فيها اخوان من المصريين ،
تحدثوا في سفرتنا ظهر غد ...

واصبحت ، فأعددت متاعي للسفر ، وودعت مضيبي
شاكرأ ، وذهبت ومن صحبني الى « الجرك » ، ثم اقلنا زورق
صغير الى الزورق البخاري « السويس » لينقلنا الى « زمزم »^(٢) .

(١) : منزل للوحي (٦٥٢ و ٦٥٣)

خاتمة :-

وبعد : فأراني اطلب الحديث عن نفسي إطالة قد لا تحمد ،
فلأقف عند هذا الحد ، وان تكن الذكريات التي توخر بها
النفس لم تنته ، لأقف ، وانا راغب في اطالة الحديث ، وواجده
بجال القول ذا سعة .

فهل يشفع لي عند من لا يستسيغ الاطالة ، انني لم اذكر
إلا جزءاً يسيراً مما ينبغي ذكره من الاثر العميق الذي بقي في
نفسي لهذه البلدة الكريمة ولأهلها ؟ ارجو ذلك .



ملحق :

بلاد ينبع ، ومنازلها القديمة

(بلاد ينبع ، من منازل جهينة ، وقد نشرت مجلة « العرب » ^(١) بحثاً عن هذه القبيلة ، تضمن تحديداً لبعض منازلها وما يقرب منها ، وكثير من تلك المواضع ، إما تُعَدُّ من بلاد ينبع ، أو تقرب من هذه البلاد ، وهذا هو الباعث للاحاق البحث المتعلق بتحديد منازل تلك القبيلة بهذا الكتاب ، مع العلم ان كثير من المواضع المذكورة فيه لا تُعَدُّ من بلاد ينبع ، وان كثيراً منها أصبحت ليست من منازل جهينة ، بل نزلتها قبائل اخرى كقبيلة « حرب » او « مزينة » او « سليم » او غيرها) .

(١) : مجلة العرب (الجزء الثالث : رمضان ١٣٨٦ هـ) .

بلاد جهينة ، ومنازلها القديمة : -

ويحسن ايراد تعريف مفصل لمنازل جهينة وامكنتها القديمة ،
مما نسبته المتقدمون اليها ، او مما هو داخل في منازلها .

ومما تجب ملاحظته ان كثيراً من تلك المواضع قد انتقلت
الى غيرها من القبائل منذ عهد بعيد ، ومواضع اخرى تشارك
جهينة فيها قبائل اخرى ، ومواضع ثالثة قد تكون نسبتها الى
جهينة من قبيل الجوار ، ذلك أننا لو جارينا المتقدمين على
تعريفهم لمنازل جهينة لاعتبرناها تحل من ساحل البحر من قرب
ميناء (رايغ) الى (حقل) بجوار (العقبة) شمالاً ، ومن الساحل
غرباً الى المدينة شرقاً ، بامتداد بلادها على ساحل البحر ، وليس
من شك في ان جهينة تحل اكبر جزء من هذه البلاد ، ولكن
هناك قبائل اخرى كانت تشاركها الاستيطان في كثير من هذه
الجهات ، وسيأتي الحديث عنها :

● - آرة : جبل عظيم بين مكة والمدينة وصفه عروام بن
الاصبح السلمي في رسالته وصفاً دقيقاً ، فقال : يقابل قدسنا ،
من اشمخ ما يكون من الجبال ، أحمر ، تخرج من جوانبه عيون ،
على كل عين قرية ، فمنها الفرع ، وام العيال ، والمضيق ،

والحفزة ، والوبرة ، والفغرة ، تكتنف آزة من جميع جوانبها ،
وفي كل هذه القرى نخيل وزروع - وهي من السقيا على ثلاث
مراحل ، من عن يسارها مطلع الشمس ، وواديها يصب في
الأبواء ثم في ودان .

● - أبار وأبير : من اودية الاجرد ، يصبان في ينبع على
ما ذكر السهودي .

● - الاجرد : احد جبلي جهينة المشهورين والثاني الاشعر
وهو اكبر منه ، واخصب ، قال البكري في كتاب (معجم ما
استمعجم) وقوله اوسع وصف اطلعت عليه عن هذا الجبل :

(الاجرد : احد جبلي جهينة ، والثاني الاشعر ، واليهما
تنسب اوديتهم ، والاجرد مما يلي بواط الجلسي ، وهما بواطان ،
فمن اودية الاجرد - التي تسيل في المجلس مَبَكَّةُ وهي تلقاء
وادي بواط .

ويلى مَبَكَّة : رشاد ، وهو يصب في اخم وكان اسمه غوى
- فيما تزعم جهينة - فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
رشاداً ، وهو لبني دينار ، اخوة الربعة .

وبلي رشادا الحاضرة ، وبها قبر عبد العزيز بن محمد بن عبد
العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف - وهي عين لهم .

ويصب على الحاضرة : البُلْيُ ، وفيه نخل ، وهو لمحمد بن
ابراهيم اللهي .

ثم يلي الحاضرة : تَبْرِز ، وبه عيون صغار ، عين لعبدالله بن
بن محمد بن عمران الطلحي يقال لها الأذِنْبَةُ ، وهي خير ماله ،
والظليلُ مبارك التركي ، وعيون تتبدد في اسنان الجبال .

ومن اودية الاجرد التي تصب في الغور ، هُرَّار وهي لبني
جشم (او عثم) رهط من بني مالك ، وفيه يقول ابو ذؤيب .
أكانت كليلة اهل الهُرَّار ؟

ومن مياه جهينة بالاجرد : بئر ابن سباع وهي بذات الحري ،
وبئر الحوائكة وهي بزقب الشُّطَّان الذي ذكره كثير فقال :

كَأَنَّ أَنَا سَا لَمْ يَحْلُوا بِتَلْعَةِ

فِيصْحُوا وَمَغْنَاهُمْ فِي الدَّارِ بَلْقَعِ

مَغْنَانِي دِيَار لَا تَرَال كَأَنَّمَا

بِأَصْعَدَةِ الشُّطَّانِ رِبْطُ مَضْلَعِ

وهو بالمنصف بين عين بني هاشم التي بملل وبين عين اضم .

- — الأذنية : عَيْن من عيون الاجرد ، تقدم وصفها .
- — أَذْيَنَةٌ : وادٍ من أودية القَبْلِيَّةِ ويسمى تَيْتَد ، على ما نقل الزَّخْشَرِي عن السَّيْدِ عَلِيِّ بْنِ وَهَّاسِ الْمَكِّي ، وهو علم بهذه المواضع .

● — أَرَابِنْ — بضم الهمزة ثم راء مفتوحة بعدها الف فباء موحدة مكسورة ثم نون ، ضبطه ياقوت وعرفه بأنه اسم منزل على قفا مبرك ، ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء وانشد لكثير :

وذكرت عزة اذ تصاقب دارها

بِرُحْبٍ فَأَرَابِنْ فَنُخَال

- — الْأَشْعَرُ : في كتاب (معجم ما استعجم) وصف لجبل الأشعر ، فيه تفصيل لا يوجد في غيره من معجمات الامكنة التي وصلت إلينا ، ومما يؤسف له ان البكري لم يذكر مصدره ، ولعله نقله عن المجري على ما يفهم من صفة ذلك الجبل التي نقلها السهودي عنه في وفاء الوفاء ، ولكن هذا لا يقلل قيمة هذا الوصف كما اورد السهودي في وفاء الوفاء ^(١) جزءاً منه ،

(١) وفاء الوفاء (ج) مادة الاشعر .

عن الهجري ومن ذلك ان الاشعر يحده من شقه اليماني وادي
الروحاء، ويحده من شقه الشامي بواطان ،

قال البكري : -

الاشعر : احد جبلي جهينة ، سمي بذلك لكثرة شجره ،
والجبل الثاني الاجرد ، واورد البكري حديثا نسبته الى النبي
صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وقعت الفتن فعليكم بجلي جهينة » .

وبحذاء الاشعر من شقه اليماني ، وادي الروحاء ، ومن
شقه الشامي بواطان ، الغوري ، والجلسي ، وهما جبلان متفرقا
الرأسين اصلهما واحد ، وبينهما ثنية سلكها رسول الله (ص)
في غزوة ذي العشيرة من ينبع .

فأهل بواط الجلسي بنو دينار موالي بني كلب بن كثير ،
وكان دينار طبيبا لعبد الملك بن مروان .

ومن اودية الاشعر : حورتان ، الشامية واليمانية ، وهما
لبنى كلب بن كثير ، وبني عوف بن ذهل - من جهينة .

وبحيرة اليمانية واد يقال له ذو الهدى ، سماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وذلك ان شداد بن امية الذهلي قدم عليه بمسل
اهداه له فقال : « من أين شئت هذا » ؟ فقال : من وادي يقال
له ذو الضلالة . فقال : « بل ذو الهدى » .

وبها المخاضة ، وهي بقاع كانت لقوم من جهينة ثم صارت
لعبد الرحمن بن محمد بن عُغَيْرٍ وهي التي يقول فيها ابن بشر
الخارجي :

ألا ابلفا اهل « المخاضة » انني

مقيم بزورا ، آخر الدهر معتمر

وكانت وعرة ، وبها غَرَضٌ يُستخرج منه الشب ، والغَرَضُ
شَقٌّ في اعلى الجبل ، او في وسطه .

وكان عبد الملك قد اتخذ في خلافته بحورة الشامية منزلا
يقال له ذو الحماط ، لان موضعه كان شجيراً بالحماط .

وبحورة الشامية كان ينزل محمد بن جعفر الطالبي في بقاع
بني دينار ، ايام كان يقاتل ابن المسيب .

والحورة الشعب بالوادي .

ومن اودية الحورة : واد ينزع في الفقارة ، سكانه بنو عبد الله
بن الحصين المسلمين والخارجيون رهط الخارجي الشاعر ، وهم
من عدوان تزعم جهينة انهم حالفوهم في الجاهلية .

وبأسفل الحورة عين عبد الله بن الحسن التي تدعى مُوَيْقَةَ ،
ثم تنفذ بين السقح والمشاش ، وبها ذات الشَّصْب ، وبها المليحاء ،

وبأسفل الملبحاء هضبة يقال لها الجياء لكثرة نخلها ، والجياء
موضع بيوت النخل ، وهي بين شويكة ، وبين الحوكة ، وفيها
نقب يقال له العويقل ، وفي العويقل يقول ابن اذينة :

ليت العويقل سدتهُ بجمتها
ذات الجياء ، عليه ردم ماجوج
فيستريح ذوو الحاجات من غلظ
ويسلكوا السهل ، تمشي كل منتوج
فأجابه الخارجي :

خلّوا الطريق اليه ان زائره
والساكنين به الشمّ الاباليج
ما زال منذ اذال الله موطنه
ومنذ أذن ان البيت محجوج
يهدى له الوفد ، وفدا لله ، مطربة^(١)
كانها شطب بالقيد منسوج

(١) المطربة الطريق الضيق في الجبل او الحرة .

و كيف يوثقه سداً وهم لهم

لبنيك ، ليبيك ، تكبير ، وتنجيح

وبلي حورة الشامية ينازعها من شقها الشامي : حُرّاض ،
وبها بشر يقال لها بشر حُرّاض ، ولعمران بن عبدالله بن مطيع
بفرع حراض قصر ، وهناك ايضاً حُرّيض ، وهو لبني الرّبعة ،
فيه ماء يسيح لا يقضي الى شي وينتفع به :

وبلي حُرّيضاً ظليماً ، وصدوره لبني الحارث بطن من مرة
من بني الرّبعة ، وبأسفل ظلم بشر ، يقال لها بشر عطيل
المثليسي - ومليح من الرّبعة - وبفرع ظلم : الصهوة ،
صدقة عبدالله بن عباس ، على زمزم ، يقتل رقيقها الحزَم من
الصهوة لزَمَزَم ، ورقيقها متناسلون بها الى اليوم .

وبلي ظليماً من شقه الشامي مليحتان : مليحة الرّمث
ومليحة الحُرّيض ، لانها شعباً خيفاً يحرس الابل ، اي
يقشر جلودها ، يسده بخشبة .

وهناك جبل سَمّار الذي يقول فيه الشاعر : -

لئن ورد السُّمَارَ لَنَقْتُلَنَّهُ

فلا وأبيك ^(١) لا ارد السُّمَارَا

وهناك ايضاً : عُوَيْسِيَّةٌ .

وبين ظِلِّمِ والمُلَيْسِيَّتَيْنِ : الدَّحْلَان ، دَحْلٌ ، ودَحْلٌ .

وعَذْمَرٌ : وهو جبل عظيم ، بين مليحة ، وصعيد ظِلِّمِ .

وبطرف هذا الجبل الشامي ماء يقال له : الوشل ، وبطرفه

الغربي : رَدَّهَةٌ عاصم .

ثم يلي المُلَيْسِيَّتَيْنِ : بُوَاطَان المذكوران .

ومن اودية الاشعر : طاسا ، وهو يصب على الصفراء -

وهي لبني عبد الجبار الكلبيين ، وهم يزعمون ان لهم دعوة من

رسول الله صلى الله عليه وسلم في أموالهم .

ومن أوديته : عَبَاثِرٌ ، وهو لبني عَثْم ^(٢) من جُهَيْنَةَ

وفيه يقول الخارجي :

(١) لا يجوز القسم بغير الله وفي الحديث : « من حلف بغير

الله فقد اشرك » .

(٢) لعله عَثْمَةٌ ، وفي بعض النسخ جشم .

قليلي دُلاني عبائر إنها
يَمُرُّ على قيس بن سعد طريقها

هدتنا لها مشبوبة يهتدي بها
يفضي ذرى ذات العظوم حريقها

يعني قيس بن سعد بن زيد الانصاري وفي عبائر طريق
يفضي الى ينبع

ومن اودية الاشعر الغورية : تَمَلَّى ، تصب على ينبع وبها
بثران يقال لهما بثر الصريح ، واحدة لبني زيد بن خالد
الحراميين ، والاخرى للكليين .

وبأسفل غلى عيون حسين بن علي بن حسين ، منها ذات
الاسيل .

وبأسفل غلى البلدة ، والبليد ، وبها عينان لبني عبد الله بن
عنبسة بن سعيد بن العاص .

وقد ذكر كثير البليد :

فأتبعتهم عيني حتى تلاحمت
عليها قنان من خفنين ، جُون

وقد حال من حَزْمٍ « الحماطين » دونهم
واعرض من وادي « البُلَيْد » شجون
وفاتتك ظعنُ الحيِّ لما تقاذفت
ظهورها من « يَنْبُعٍ » وبطون

● — أَسْمَدَان : قال نصر بن عبد الرحمن الاسكندري (١) :
أَسْمَدَان ، تشنية أَسْمَد ، جبلان بين المدينة وخيبر ينزله جهنمة
واشجع .

● — لَمْضَمٌ : هو مجتمع اودية المدينة ، من اعظم أودية
جزيرة العرب ، يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر ، وقد حدده
علماء ثلاثة من اهل هذه البلاد هم : الزبير بن بكار عالم الحجاز
في القرن الثالث . والثاني : ابو علي هارون بن زكريا الهجري ،
من علماء القرن الثالث والرابع ، وقد اقام في المدينة ، والثالث :
السيد 'علي' بن وهَّاس شيخ الزمخشري من علماء القرن السادس
فقال الهجري :

(١) كتاب الامكنة والمياه والجبال (الورقة ١٨ نسخة
المتحف البريطاني) ونقله عنه ياقوت .

سألت الحلصي : عبدالله بن محمد الجعفري عن ذي رولان فقال : هو واد من شرقي الحرّة ، يدفع في ضَقْوَى ، ثم يدفع في الشعبة ، والشعبة في قناة ، وقناة من نواشع اضم ، وينهي اضم في الحوراء ، وكل ما اسميت غور ، وتجتمع سيول المدينة كلها في الغابة ، ثم في اضم .

وقال - على ما نقله السهمودي عنه : سمي اضم لإيضام السيول به ، واجتماعها فيه .

ونقل السهمودي عن الزبير بن بكار اسماء الاودية التي تجتمع في اضم فقال : قال الزبير : -

ثم تمضي السيول اذا اجتمعت في اضم فتتحد على عين ابي زياد والصورين في أدنى الغابة ، ثم تلتقي بوادي نعمى ووادي نعمات اسفل من عين ابي زياد ، ثم تنحدر ، ويلقاها وادي ملك بذي خشب ، وظلم ، والجُشينة ، ثم يلقاها وادي ذي أوان ودوافعه من الشرق ، ويلقاها من الغرب بواط والخرار ، ومن الشرق وادي أمة ، ثم تمضي في وادي اضم حتى يلقاها وادي بُرْمة الذي يقال له ذو البيضة من الشام ، ويلقاها وادي مُرْتَعَة من القبة ، ثم يلتقي هو ووادي العيص من القبة ،

ثم يلقاه دواغع واد يقال له حجر ، ووادي الجِزْل الذي به
السُّقْيَا والرَّحْبَةُ في نخيل ذي المروة ، مغرباً .

ثم يلقاه وادي عمُودان في أسفل ذي المروة ، ثم يلقاه واد
يقال له سفيان حين يقضي الى البحر عند جبل يقال له أراك ،
ثم يدفع في البحر من ثلاثة اودية يعسوب والنتيجة وحقيب .

وقال السيد علي : إَضْمُ : وادٍ جَلَوَاخُ ، يَحْتَلِبُ نَجْدًا
وتهامه ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ، ويسمى من عند
المدينة القناة ، ومن اعلا منها عند السد يسمى الشظاة ، ومن عند
الشظاة الى أسفل يسمى اضمًا الى البحر . وقال السهمودي بأنه
(يسمى اليوم الضيقة) ، ولعله يقصد ما يلي المدينة منه .

وقد نزلت قبيلة جرهم وادي اضم بعد جلائها من مكة ،
وفيه هلكت بالسيل ، على ما يروي المتقدمون ويستشهدون بقول
امية بن ابي الصلت :

وَجُرْهُمُ دَمَسُّوا تَهَامَةَ فِي الدَّهْرِ

ر ، وَسَالَتْ بِمَجْمَعِهِمْ إِضْمُ

على ان البيت لا دليل فيه على هلاكهم بالسيل .

ولا ضم ذكر في اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وكان الخلفاء والولاة يقطعون اعيان المدينة فيه لإقطاعات ،
ومنها : إقطاع المهدي المغيرة بن خبيب بن ثابت الزبيري فيه
عينا يقال لها عين النيق .

وقول الهجري انه يصب في الحوراء ، فيه تجوز ، فهو يصب
شمالها فيما بينها وبين الوجه ، عند رأس يدعى كركومة ، شمال
جبل يدعى بهذا الاسم ، بقرب درجة الطول (٣٦/٣١) ودرجة
العرض ٢٥ / ٥٠ - اي بمسافة تقرب من مائة كيل شمال
موقع الحوراء .

ويجتمع في إضم كثير من الاودية التي تنحدر من السلسلة
الجبلية التي يخترقها ، منها وادي الجزل ، ووادي العيص .

● - ألأب - كسراب - نقل السهمودي عن الهجري انه
من أودية الاشعر ، جبل جهينة .

● - أمر : (انظر : ذا أمر) .

● - بدر : وعد الكلبى فيما نقله عن البكري بدراً من
منازل جهينة ، وبدراً كان من المناهل المعروفة ، توده القوافل

المتجهة من جنوب بلاد العرب من تهامة ، الى الشام وفيه حدثت
الوقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ،
وبين قريش فانتصر الاسلام منذ ذلك الحين : (ولقد نصركم الله
ببدر وأنتم أذلة) . وقد اصبحت بدر قرية غناء .

● - بِرَاقُ حَوْزَةِ : موضع من اودية الاشعر ، بناحية
القبليّة على ما نقل السهودي .

● - بُرْقَة رَوَاة : رواة من جبال جهينة - على ما ذكر
صاحب معجم البلدان واضيفت اليه البرقة وهي ارض ذات رمل
وحجارة ، يخالف لونها لون الجبل وانشد ياقوت لكثير :

وغير آياتٍ يبرق رواة

تنائي الليالي ، والمدى المتناول

● - الْبَلْدَةُ : من مواضع جبل الاشعر ، تقدم ذكرها فيه .

● - بَلَكْتَةُ : ورد ذكرها في اقطاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عوسجة بن حرملة الجهني . وهي واحدة من بلاكت
وبلاكت على ما جاء في معجم البلدان نقلا عن يعقوب بن
السكيت قارة عظيمة ، فوق ذي المروة ، بينه وبين ذي خشب ،
ببطن لضم .

البَلَيْتَاء : من اودية القبلية .

● - البَلَيْتَد : من مواضع الاشعر ، تقدم ذكره ، وقال السهمودي : انه من اودية الاشعر بأسفل نخل ، قرب الفقرة التي تحمل منها الخطة الرياضية للمدينة .

● - البَلْي : من اودية الاجرد - على ما ذكر البكري - وقد تقدم .

● - بُوَاط : هما بواطان : بواط الجَلَسِي ، وبواط الغوري جبلان من أشهر جبال جهينة ، ومنهما يجري واد يسمى بهذا الاسم ، وهو من اودية القبلية على ما نقل ياقوت عن السيد علي . وقد تقدم وصف الجبلين في الكلام على الاشعر .

● - بُوَائنة : قال السيد علي : هضبة وراء (ينبع) قريب من ساحل البحر ، وقريب منها ماء يسمى (القضية) وماء آخر يقال له (المجاز) وانشد :

تراني يا علي أموتُ وجداً

ولم أزع (القرائن) من (ريام)

ولم أزع (كدى) (مشاوط)

واوردها (المجاز) وهي ظوامي

قال : وقد رأيت (بوانة) وتَوَعَّيت فيها .

قال : و (كدى) و (مشاوطات) : خبتان تَمَّة ، و
(القرائن) : يَرَأَقُ : و (رِيَام) : واد تسيل فيه (القرائن)
— عن كتاب الجبال والامكنة للزمخشري

● — بشر بني سبتاع : من آبار الاجرد .

● — بشر الحوايكة : من آبار الاجرد .

● — بشر الصريح : هما بشران بهذا الاسم في الاشعر .

● — تَيْتَدُ : وقد تبدل التاء دالاً فيقال : تَيْتَد ، ويسمى
أذينة — على ما تقدم — وهو من اودية القبلية ، فيه عرض
فيه النخل من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما نقل
الحموي عن السيد علي المكي .

وورد هذا الاسم مصحفاً في معجم ما استعجم للبكري
هكذا (يندد) قال : وكانت بقايا من جذام سكان ارض
بتلك البلاد يقال لها (يندد) ، فأجلتهم عنها جهينة ، وبها نخل
وماء ، فقال رجل من جذام حين ظعن منها والتفت الى
يندد ونخلها : —

(١) ص (٣٧)

تَابِرِي ، يندد ، لَا آيَرَ لَكَ .

وكان لعجوز من جذام ، هناك نخيلاتٌ بِفِنَاءِ بيتها وكانت
إذا سئلت عنهن قالت : هُنَّ بَنَاتِي ، فقل لهن بنات بَحْنَةٍ ،
ولا يعلمونها كانت بموضع قبل يندد ، وفيها يقول الراجز : -
لا يَغْرِسُ الغارسُ الا عَجْوَةً

او ابن طابٍ ، ثابتاً في نَجْوِه

او الصباحي ، او بنات بَحْنِه

كذا جاء مصحفاً (يندد) وقد اورد ياقوت القصة ملخصة في
معجم البلدان في (تيدَد) .
وقال السهمودي : نَقْلًا عن الهَجَرِيَّ -

تيدد : من اودية الاجرد ، جبل جهينة يلي وادي الحاضر ،
به عيون صغار ، خيرها عين يقال لها أُذَيْنَة ، وعين يقال لها
الظليل ، وعيون تيدد كلها تدفع في اسناد الجبال ، فاذا أسهل
بغراسها لم ينجب زرعها ، وذلك ان صاحبها كان من جهينة
فدمها وقال : هي في جبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا
أسهلت تَيْدَد » ، فما أسهل منها فلا خير فيه ، وقال رجل
من مزينة في شيء كان وقع بينهم وبين جهينة في
الجاهلية : -

فان تشبعوا منا سباع رواوة
فان لها اكناف تيدد مرتعا

● - تَبْرِز : عَدَّة البكري من اودية الاشعر ، وذكر فيه
عيونا - وأخشى ان يكون الاسم مصحفا .

● - الشَّاجَة : من أودية القبلية ، ونقل السهمودي انه ماء
سيح في حراض ، وحراض من اودية الاشعر والقولان
مدلولهما واحد .

● - جرَّاجِرُ : واد الجهينة ، ومن اسفله المرابد ، عيون فيها
نخل لقريش ولبنى ليث (١) .

● - جُفَّاف : عَدَّة البكري من منازل جهينة في الحجاز ،
وأخشى ان يكون مصحفا .

● - الجَمَعَلَات : ورد الاسم هذا في اقطاع عوسجة بن حرملة
بالجيم بعدها عين ، فلام (الجمعات) في كتاب الامكنة للحازمي
في نسخة مخطوطة سنة ٦٢٠ ، ولعلها هي النسخة التي طالعها
ياقوت ، وكذا ورد الاسم في معجم البلدان ، وجاء في طبقات

(١) معجم ما استعجم للبكري (مادة نصع) .

ابن سعد : الجفلات - بالفاء بدل العين ، وفي كتب أخرى .
ولم اجد فيما بين يدي من الكتب ضبطاً او تحديداً
لهذا الموضع .

● - الجيَاءُ : عَدَّ البكري في الاشعر هَضْبَةً مُتَدَعًى الجيَاء
لكثرة نحلها ، وقال ان الجيَاء بيوت النحل .

● - الحَاِضِرَةُ : من اودية الاجرد ، تقدم ذكرها .

● - الحُتَّ : من جبال القبلية لبني عرك من جهينة .

● - حِراض : موضع في جبل الاشعر ، مَعْمُورٌ ، تقدم
ذكره . وقال السهودي : في شمالي حورة ، ليس به الا ماء
سبيع يقال له الثَّاجَة .

● - حَرْحَار : ذكر ياقوت انه موضع في بلاد جهينة من
ارض الحجاز ، ولم يزد على هذا .

● - حُرَيْض : موضع في الاشعر تقدم ذكره .

(١) نسخة مكتبة لاله لي في المكتبة السليمانية في اسطنبول
رقم (٢١٤٠) .

● — حَزْرَة : بسكون الزاي على ما ضبطه السهمودي وقال
من اودية الاشعر يفرغ في الفقارة سكانه بنو عبدالله بن حصين
الاساميون ، وبه المليحة ، كذا قال : وهذا الوصف ينطبق على
(حورة) فلعلها تصحفت على السهمودي .

● — حَسَنًا : جبل قرب ينبع ، قال كثير :

أَعْضَا مَيْثُ (كَلْثَا) بَعْدَنَا ف (الْأَجَاوِلُ)

فَأَمْدَاد (حَسَنًا) فَالْبَرَقُ الْقَوَائِلُ

وقال : —

عَفْتُ (غَيْقَة) مِنْ أَهْلِهَا ف (حَزِيمُهَا)

فَبِرْقَة (حَسَنًا) : قَاعُهَا فَصَرِيمُهَا

قال الاسمي : اذا ذكرت (غيقة) فليس معها إلا

(حَسَنًا) واذا ذكرت طريق الشام فهي (حَسْمَى) قال :

و (حَسَنًا) : صحراء بين (العُدَيَّة) وبين (الجار) تنبت

الجَيْهَل . كذا نقل ياقوت .

● — الحَصِير : انشد المهجري ^(١) ليحيى بن رُبَيْق الناصري

السملي من ارجوزة :

وَالسَّرْدَ قَدْ أُتْبِعَهُ أَثَارَا

(١) التعليقات والنوادر (ص ٢٥٦ النسخة الهندية)

وقال : السرد : قنة بجانب ترعة ، من جانب ، الحصير ،
جبل الجهينة .

● - الحَوْرَاءُ : كانت أشهر ميناء في الحجاز ، وقد خربت
قبل القرن السابع الهجري وقال ياقوت : خبرني من رآها في سنة
٦٢٦ انها مائة ملحّة وبها آثار قصر مبني بعظام الجمال ، وليس
بها احد ولا زرع ولا ضرع . انتهى .

وقد بقي اسمها معروفاً الى اول قرننا الحالي حيث كانت
احدى محطات الحجاج القادمين مصر ، وذكر الهجري - ان
اضماً يصب مياؤه في البحر ، في الحوراء والصواب انه يصب
شمال موقعها فيما بينها وبين الوجه ، (انظر لضم) .

ونقل ياقوت عن ابن الكلبي^(١) قال : كان رجل من
جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب قال يوماً لقومه : هلم نبني
بيتاً - بأرض من دراهم يقال لها الحوراء نضاهي بـه الكعبة ،
ونعظمه ، حتى نستميل به كثيراً من العرب ، فاعظموا ذلك ،
وأبو عليه فقال في ذلك : -

(١) معجم البلدان (مادة : حَوْرَاء)

ولقد اردت بأن تقام بَنِيَّةٌ
ليست بحوبٍ او مُطِيفٌ بِمَآثِمِ
فأبى الذين اذا دُعُوا للعظيمة
راغوا ولاذوا في جوانب «قوْدَمِ»

يلحون ألا يُؤَمَّرُوا فاذا دُعُوا
وَلَّوْا واعرض بعضهم كالأبكم

صفح منافعه ويغمض كلمة
في ذي افأويه ، غموض المَبَسْمِ

ووصفها الشيخ ابو بكر احمد بن هارون ^(١) فقال : (الحوراء
من منازل الحجاز ، على شاطئ البحر الملح ، وهناك آبار ماؤها
مالح جداً ، وبها جبل يوجد فيه الرخام الحسن ، فيحمل منه
الى سائر البلاد ، وقد قال الشاعر فيها :

فمقلته (الحوراء) ودمعي (ينبع) .

وبقي للحوراء شهرة في كتب الرحلات التي تصف طريق

(١) (روضة الازهار ، في عجائب الاقطار) النسخة
الكتانية (الرباط) رقم ٢٣٨١ - والكتاب مؤلف سنة ٥٩٢٢ .

الحجاج المصريين من العقبة الى مكة على ساحل البحر .

وتقع على ست مراحل من « الوجه » ومنها الى ينبع سبع مراحل^(١) ، فهي في منتصف الطريق بينها على وجه التقريب وموقعها — على ما يفهم من كلام المتقدمين بقرب بلدة « املج » في الناحية الشمالية منها بجوارها .

وقد كانت معروفة الى عهد قريب ، حيث نجد صاحب (مرآة الحرمين) قد وضع اسمها فوق المصور الجغرافي الذي رسمه لبيان مراحل الطريق .

ونجد قبله محمد صادق باشا وصفها في كتابه (دليل الحج) حيث مر بها في سنة ١٢٩٧ هـ قائلًا^(٢) : (محطة الحوراء في محل متسع ، به عين ماء عذب ، تجري الى بقعة يتخللها النخيل كجنة وسط هذه الصحراء ، يرى البحر بعيداً عنها بمسافة نصف ساعة ، وبها أعراب يبيعون التمر والعسل والحشيش للدواب . وذكرا انه المسافة بينها وبين (نبك) (بك) ١٥ ساعة ونصف) بسير الابل .

ووصفها قبله الشيخ عبد القادر الجزيري ، وقد مر بها مرارا

(١) رحلة الشتاء والصيف (ص ٦٧ الطبعة الثانية)

(٢) دليل الحج (ص ٢٧)

احداها في سنة ٩٥٧ فقال ^(١) : (قرية من قرى الحجاز ، تباع بها العجوة ، والسمك يصاد بها على يد جماعة من الصيادين ، في قوارب لطاف ، وماؤها حفاتر مالحة جداً ، وهي بجانب البحر الملح ، والمراكب المتجهة الى الحجاز تستقي منها ، وبها شجر الاراك أيضاً . وفي كتاب « عجائب البلدان » : الحوراء قرية صغيرة ، وبها معدن البرام ويحمل منها الى سائر اقطار الارض ، وشربهم من آبار عذبة) .

اما السيد محمد بن عبدالله الحسيني المدني المعروف بكبريت ، فيقول في ^(٢) وصفها ، وقد مرّ بها في عام ١٠٣٩ :

(والحوراء هذه تشتمل على اشجار ملتفة ، وبها شجر الاراك ، واطيار متنوعة ، الا ان ماءها في غاية الكدورة ، مفرط في الاسهال) .

● — حَوْرَةُ الشَّامِيَّةُ : من أودية الأشعر (من اودية القبلية) .

(١) درر الفوائد المنظمة (ص ٥٢٨)

(٢) رحلة الشتاء والصيف (ص ١٤) .

● - حَوْرَةُ اليَمانِيَّةُ : من اودية الاشعر أيضاً (من اودية القبلية) وقال السهودي : منها يحمل الى المدينة العسل والحنطة الرياضية التي تأتي من ناحية الفِقرَة .

● - الحَبْطَان : مثنى خبت ، ذكر البكري من منازل جهينة الحبّتين ، وقد يكون المراد به الارض الممتدة على الساحل ، المنخفضة ، وليس موضعاً بعينه .

● - الحَبْطُ : قال ياقوت : اسم لما يحيط من شجر العضاء ، ويجمع ويعلف الدواب . وهو علم لموضع في ارض جهينة بالقبلية وبينها وبين المدينة خمسة أيام وهي بناحية ساحل البحر .

وأقول : وهم ياقوت رحمه الله - فظن ان (سرية الحبط) منسوبة الى موضع ، والواقع ان السرية اصابها جوع حتى اكلت الحبط ، وهو ورق الشجر ، فعلق بها هذا الاسم .

● - تخريف : واد عند الجار ، يتصل بينبع (عن السهودي)

● - دِبَرَاءُ : وادٍ من ارض جهينة ، وراء العيص ، بين مغرب الشمس ، وبين العيص ، كذا قال الهجري^(١)

● - الدَّحْلان : مثنى دَحْل - انظر الاشعر .

(١) كتاب التعليقات والنوادر (ص ٤٢٢) النسخة الهندية .

● - الدهناء : وصفها الجزيري فقال : (الدهناء بلاد الشيخ أحمد البدوي ، وكانت قرية عامرة ، يسكنها بنو إبراهيم قديماً ، بها بيوت ومساجد ، وحدائق وأشجار ، وعيون جارية حلوة ، يتزود منها الحجاج عند مرورهم ، فلما سعوا في الأرض الفساد ، برز أمر السلطان الغوري بتجهيز العساكر لقطع جادرتهم على يد الأمير خيربك ، وقطعت رؤوسهم ، وعملت مصاطب ، ثم عقب ذلك خراب تلك القرية ، وتوالي المحل والجذب ، وغارت تلك العيون ، وجفت الأشجار . . وبالدهناء محاطب بكثرة . . واصحاب الدرك بها الآن طائفة من بني ابراهيم يدعون العيايشة ، منهم محمد بن دواس ، والقوادحة ايضاً) . انتهى باختصار .

وتقع بين ينبع وبين بدر وهي الى ينبع اقرب وهي احدى محطات الحجاج .

وقد حدثت فيها وقعة بين اهلها بقيادة يحيى بن سبع ، ومعه زبيد برئاسة مالك بن رومي ، وبين شريف مكة ومعه عساكر جهزهم السلطان الغوري لحماية الحجاج ، وللقضاء على فتنة ابن سبع واتباعه ، وكانت الوقعة في غرة شوال سنة عشر وتسعمائة . وقد فصل خبر تلك الوقعة العظامي في تاريخه (٢) .

(١) درر الفوائد (٥٣٨) .

(٢) : سمط النجوم (٣٠٤/٤) .

● — ذات الأسيل : عين في الأشعر .

● — ذات الشَّصْبُ : موضع في الأشعر .

● — ذات النَّصْب : موضع بمعدن القبلية أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث وفي الموطأ أن ابن عمر ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة . قال مالك : بين ذات النصب والمدينة أربعة برد .

(البريد : أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال فالمسافة بينهما = ٣٩ ميلاً) .

● — ذو أمر : وادٍ أقطعه^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عوسجة بن حرملة الجهني ، الذي عقد له الرئاسة على ألف رجل من جهينة — على ما ذكر ابن حزم وغيره (وانظر : أمر) .
ونقل السهودي أن بعض ولد عبدالله بن الزبير اعتزل أيام الفتنة بأمر من بطن إضم .

(١) جهرة النسب لابن حزم (ص ٤٤٦) .

● — ذو الحماط : منزل للخليفة عبد الملك بن مروان في وادي حورة الشامية ، في الاشعر سمي بذلك لان موضعه كان شجيراً بالحماط .

● — ذو خُشْب : واد شرقي المدينة بيوم ، متصل باضم .

● — ذُو الضَّلالة : اسم واد من أودية الاشعر ، فغير اسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● — ذُو المروة : (انظر : المَرْوَة) .

● — ذُو الهُدَى : من أودية الاشعر ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● — ذَهَبَان . نقل ياقوت عن ابن السكيت انه جبل لجهينة أسفل من ذي المروة ، بينه وبين السقيا .

والسقيا المذكورة هنا هي سقيا الجزل ، وتسمى سقيا يزيد تقع في طريق الحجاج الذين يقدمون من الشام او مصر ، ويتجهون الى المدينة قبل وصولهم الى الوجهه ، وليست السقيا الواقعة في الطريق بين مكة والمدينة .

● — رَقَبَةُ زَعْبَاء : من جبال القبلية

● — رَذْهَةُ عاصم : موضع بطرف جبل عَذْمَر من جبال الاشعر

● - الرّسّدُ : من اودية القبلية .

● - رشاد : واد من اودية الاجرّد ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● - رَسْدُ : نقل البكري عن محمد بن حبيب ان بني رَشْدان بن قيس بن جهينة وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال لهم بنو غِيَّان في الجاهلية ، فقال لهم : « من أنتم » ؟ قالو : بنو غِيَّان ، فقال : « بل انتم بنو رَشْدان » قال : ما اسم واديكم ؟ قالوا : غوى ، قال : « بل هو رَشْد » فلزمتهم .

● - رَضْوَى : من اشهر جبال جزيرة العرب ، مُطِيلٌ على وادي ينبع ، ذو شعاب كثيرة ، واودية ، ومنه كان يقطع حجر المِسْن ، ويحمل الى البلاد الاخرى ، وىروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ^(١) : « رَضْوَى رضى الله عنه » . ويصب سيل رَضْوَى في غيقة ، ثم يصب في البحر .

وتزعم الكيسانية - من فرق الشيعة - ان محمد بن الحنفية ، فيه مقيم ، وانه حيٌّ يرزق .

وشاعت هذه الخرافة لدى بعض المؤرخين المعاصرين فكتب

(١) معجم البلدان « مادة رَضْوَى »

يقول : (ويوجد من الشيعة في الوقت الحاضر اتباع لمحمد بن الحنفية ، يقيمون في جبل رضوى ، بقرب ينبع ، وهم على شيء عظيم من البداوة والتوحش ، والبعد عن مخالطة أهل المدن ، واما عددهم فانه يكاد لا يزيد عن عشرة آلاف ، ويبالغ بعضهم في عددهم فيوصله الى ٢٥ ألفاً ، غير ان العدد الاول هو الاقرب الى الصحة فيما نعتقد .

وهاؤلاء القوم ما زالوا ينتظرون عودة محمد بن الحنفية من استتاره ، ليملا الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، واتباع هذا المذهب اكثرهم من حرب وجهينة وبعض الموالي والاتباع ، المنضوين تحت سيطرتهم) (١).

والظاهر ان الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - تأثر بما كتبه فؤاد حمزة - رحمه الله - عن خرافة المنتظرين لخروج محمد بن الحنفية من رضوى ، فكتب شيئاً اغرب ، وأعجب ، وأعرق في الخرافة فقال : (وما يشير الدهشة ان بعضهم تسلق قمة رضوى ، فرأى عجباً : رأى قوماً لم ينزلوا السهل في حياتهم ، ويرون في نزوله المعرة الكبرى ، فاذا احتاجوا الى

(١) المرجع فؤاد حمزة في كتاب «قلب جزيرة العرب ص ٩٥»

شيء فأتباعهم وضعافهم هم الذين ينزلون ، ورأوا هاؤلاء القوم
يعيشون في الكهوف والمقارات عيش الحيوان المفترس ،
ورأوا أحدهم إذا ظفر بغنيمة مما كانوا يذبحون ، قرأ بها الى
كهفه ، وآوى اليه ، وانبعث ينهشها كما ينهش الحيوان المفترس
فريسته ، وجعل يذب عنها من يحاول اقتحام الكهف عليه ،
بأن يدفعه بوجهه ، كما يفعل الذئب والنمر^(١) .

لقد أصبح كل شبر في جبل رضوى معروفاً ، بعد أن
كتب الأستاذان - رحمهما الله - ما كتبنا ، مما اعتمدا فيه على
مجرد خرافات يتناقلها العوام ، لا اصل لها ، ولم يعُدْ جبل
رضوى تجهلاً من مجاهل العالم - ان صح ان العالم لا يزال
فيه مجاهل !!

● - الروحاء : واد مشهور يقطعه الطريق بين المدينة ومكة ،
وهو من عمل الفرع ، ويبعد عن المدينة قرابة اربعين ميلاً ،
وفيه قرية ، ومنهل من مناهل الطريق ، يسمى الآن : الراحا-
وابناء البادية كثيراً ما يبدلون الواو والياء ألفاً .

واللروحاء ذكر كثير في الاحاديث النبوية ، وفيها على

(١) : منزل البوحي « ص ٤٠٧ » .

ما يزعمون قبر مضر بن نزار ، ذكر ذلك البكري في معجم ما استعجم .

● - الرُّوَيْثَةُ : من مناهل الطريق بين المدينة ومكة ، وتبعد عن المدينة بما يقارب الستين ميلاً .

● - زَقَب الشُّطَّان : موضع في الاجرد ، فيه بئر الحوانكة - تقدم ذكره .

● - سَكَاب : من جبال القبلية .

● - السُّمَارُ : جبلٌ سَمَار : من جبال الاشعر .

● - مُوَيْقَةُ : عَيْنٌ من عيون وادي الحورة « في الاشعر »

على ما ذكر البكري ، وقد تقدم قوله ، وقد أصبحت بلدة كبيرة ، ولها ذكر كثير في كتب التاريخ ، وهي بلدة عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وبنيه ، وقد قاست كثيراً من ضروب الفتن ، فخربت مراراً ، وعقر نخلها ، وردمت مجاريها ، مما لا يتسع المقام لذكره .

ويحسن ان نورد قصيدة تتعلق بها ، بعدما جرى من تخريبها بعد ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن في عهد الخليفة المنصور ، قالها شاعر ينسبني جُهَنِي ، هو سعيد ابن عُقْبَةَ الجُهَنِي ، اورد البكري في معجمه سبعة من ابياتها ، واوردها كاملة ابو

حيّان التوحيدى في كتاب « البصائر »^(٢) والذخائر ، ولكنه
سمى الشاعر شداد ابن عقبة ، وهو سعيد كما في الاغاني^(٣) ومعجم
ما استعجم للبكرى ، قال :-

اني مررت على دار فأحزنني
لما مررت عليها ، منظر الدار
وحش ، خلاء كان لم يغن ساكنها
لِمُعْتَقِينَ وَقُطَّانٍ وَزُمُورٍ^(٤)
من للأرامل ، والأيتام يَحْتَسِبُهُمْ
شتى الموارد من جلس وأكواد ؟
ماوى الغريب ، وساري الليل مُعْتَسِفًا
وعَصْمَةُ الضيف والمسكين والجار

(١) : معجم ما استعجم ٧٢٨

(٢) : « ١ / ٥٠٥ الى ٥١٠ »

(٣) : « ١١٤ / ٥ »

(٤) : رواية البكرى في (معجم ما استعجم) :

وحشاً خراباً ، كان لم تغن عايرة

بخير أهل ، لمُعْتَرٍ وَزُمُورٍ

بها مساكن كان الضيفُ يالفها
عند التَّنَسُّمِ من نكباءِ مِهمار

فيها مرابطُ أفراسٍ ، ومُعْتَلَجُ
وحاملُ أخرياتِ الليلِ من مَمار

فيها معالمٌ إلا أنها درست
من واردين ، ومُنْزَلٍ وُصْدَار

فيها معانٍ وآياتٌ ومُخْتَلَفُ
في سالفِ الدهرِ ، من بادٍ وحُضَار

ثم انجلت ، وهي قد بادت معالمها
ألقى المراسي فيها وابلٌ ، سار

وأخوياتٍ كساهما الدهرُ أغشيةً
من البلى ، بعد سُكَّانٍ وَعُمَّار

جار الزمانُ عليها فهي خاشعةٌ
طَوْرَيْنِ ، من رائعٍ يسرى ، وأمطار

فغاضت العينُ لما عيل مجرعتها
فيض القريّ جفتُ عنه يدُ القاري

ودارت الأرضُ بي حتى اعتصمت بها
 واستكَّ سمعي بعرفانٍ وإنكار
 حتى إذا طال يومٌ ما يفارقني
 ما أوجع القلبَ من حُزنٍ وتذكار
 وحان مني انصرافُ القلبِ وانكشفتُ
 عُماءُ قلبٍ شراهُ النومِ مِهْجَارِ
 لا يبعد الله حيا ^(١) كان يجمعهم
 مَندَى (سُويقة) أخياراً لأخيار
 الباذلين إذا ما الثقل أعدمهم
 جادتْ أكفُهُمُ بالجلودِ مدرارِ
 والرافعين لساري الليل نارهَمُ
 حتى يجيء على ^(٢) سدرٍ من النار

(١) : رواية البكري في (معجم ما استعجم) : قَوْماً...
 جَنْباً (سُويقة) الخ .

(٢) : رواية البكري في (معجم ما استعجم) : ...
 حتى يَوْمٌ على ضوءِ الخ .

والدافعين عن المحتاج خلّته
 حتّى يحوز الفنى من بعد إقتار
 والقائلين له : هـلاً بمرحبة
 لـج في انفساح ، ورحب ، أيها الساري
 والضامين القري في كل راكدة
 فيها سديف شظايا تملك واري
 والمدركين حلوماً غير عازبة
 والناهضين بجدد غير معتار
 والعاطفين على المولى حلومهم
 حتى بقيء بحلثم بعد إدبار
 والعائدين اذا ضئت بدرتيها
 أم الفصيل ، فلم تعطف بدرار
 والناشرين اذا ما شتوة ، جمدت
 فلم يحس بنار قدر أيسار
 والمانعين غداة الرّوع جارهم
 بكل أجرد ، او جرداء مختطار

والرافعين حدود العيش لا عبة
تبغي الاله بحجج وعمار
على حراجيج اطلاق معودة
ترمي الفجساج بركان وأكنوار
فليتني قبل ما أمسي لحزنكم
وكل شيء بمقات ومقدار
لفنت علي شفاء القبر في حدث
عرى المتون ، فرادى تحت اجار
ولم أر العيش في الدنيا ولم يرني
ولم يجيشني بأناب وأظفار
ولم أفيض عبرات من مأكلة
على كريم ، بسفع الواكف الجاري

● - الشبا : نقل البكري عن محمد بن حبيب قوله : الشبا ،
قريب من الابواء لجهينة ، وأنشد لكثير .

تحمل ادا فيهم بودان فالشبا
ومسكن اقصام بشهد فنصح

وقد نقل ياقوت ان الشَّبا وادٍ بالاثيل ، من اعراض المدينة ،
فيه عَيْنٌ ، والاثيل من اودية الصفراء .

● - شميسى : من اودية القَبَلِيَّة .

● - شُوَيْلَة : من مواضع الأشعر .

● - صرار : من جبال القَبَلِيَّة .

● - الصفراء : عِرْضٌ كبير من اعراض المدينة ، فيه أودية
وقرى يقع بين ينبع ، والمدينة ، وماؤه يجري الى ينبع ، وقد
"مر" رسول الله صلى الله عليه وسلم به غير مرة .

ويطلق اسم الصفراء على قرية في ذلك الوادي .

وقد وصفها البكري فقال : بأنها كثيرة المزارع ، والنخل ،
ماؤها عيون ، يجري فضلها الى ينبع وهي على يوم من جبل
رضوى ، منها في المغرب .

ومن عيونها : عين يقال لها البُحيرة ، أغزر ما يكون من
الميون ، تجري بين أحشاء رمل ، فلا تمكن الزارعين غلستها الا
في مواضع يسيرة تتخذ فيها البقول والبطيخ .

وعن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة بدر الآخرة حتى اذا كنا بالاثيل عند الصفراء بين

ظهراني الاراك قال لي : « تعالي حتى اسابقك » . وكان ابي
للحم الغفاري الصحابي ينزلها .

وفيها مات 'عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجلاه بيد
فوصل الصفراء مُرْتَثًا ، وفيه تقول هند بنت اثالة بن عباد
ابن المطلب .

لقد ضمنوا الصفراء مجداً وسوددا
وحلماً أصيلاً ، وافر اللب والعقل

ويورد للصفراء ذكر كثير في كتب الرحلات التي تصف
طريق الحج ، ذلك انها تقع بطريق الحجاج القادمين من مصر
والمغرب ، ومن مَرَّ بطريقهم حيناً يأتون الى المدينة المنورة من
بدر الى الصفراء ، ثم الى ذي الحليفة ثم الى المدينة ، ثم من المدينة
الى الصفراء ، ثم الى ينبع ، ومنها يستقيم الطريق الى مصر ^(١)

ومن الطف ما قرأته في وصف الصفراء ما جاء في كتاب
(روضة الازهار ، في عجائب الاقطار ^(٢)) للشيخ ابي بكر احمد بن

(١) رحلة الشتاء والصيف « ص ٦٧ »

(٢) روضة الازهار (نسخة المكتبة الكتانية في الخزانة
العامة في الرباط رقم ٢٣٨١)

هارون ، الفه سنة ٩٢٢ - قال (وادي الصفراء وهو مكان تزيه ،
ليس في ارض الحجاز ائزه منه ، وبه عيون ومزارع ونخل
وفواكه ، وبه قبائل كثيرة من العرب ، ولهم مواشي اغنام
وجمال ، وغير ذلك وهو الطف مكان بأرض الحجاز) .

ولا تزال الصفراء معروفة بهذا الاسم ، ويضاف اليها عدد
من القرى القريبة منها مثل : بدر ، والمسيجد . ومن قراها :
خيف الحزامي ، الواسطي ، الصادرة ، خيف جديد ، الفارعة ،
عين جديد ، الحسينية ، العالية ، البركة ، الدغيج - الحمراء -
الكحلة . وقد درس كثير من قري الوادي ، بسبب الجفاف
وقلة الامطار .

واغلب سكانه - في العهد الحاضر - من قبيلة حرب ، في
الوقت الحاضر من الاحامدة ، والظواهر ، وصبح ، والحوازم
وغيرهم . وفي بعض جباله خلايا للنحل ، يجلب منها العسل الى
المدينة المنورة .

● - صُفِّينَة : ورد ذكرها في كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبني شنج من جهينة^(١)

(١) كتاب « الوثائق السياسية » الوثيقة رقم ١٥٥ ص ١٤١

ومعروف أن صفينة قرية غناء تقع في جنوب المدينة وفي الطريق النجدية بينها وبين مكة ، بقرب (مهد الذهب) .
ويظهر ان صفينة التي لجهينة غير هذه ، لبعد هذه عن بلادهم ان لم يكن الاسم مصحفاً .

● - صِنْدِيدُ : جبل من جبال تهامة ، ورد في شعر كثير وهو يرثي عبد العزيز بن مروان :

تَعَيْنَ ، ولو أَسْمَعَنَ أعلامَ صِنْدِيدِ
وأعلامَ رَضْنَوِي ، ما يَقلُّن ، أَدْرَهْمَتِ
« ادْرَهْمَت : ابي سقطت الاعلام ،

● - الصَّهْوَةُ : صدقة عبدالله بن عباس على زَمَزَمَ ، فيها رقيق يقتلون الحزم ، منها ليستعمل ارشية ، تقدم ذكرها في الاشعر ، وقال السهمودي : ان تلك الصدقة بين الخليفة يوكل بها
● - ضاس : موضع بين المدينة وينبع ، قال كثير .

لعينك تلك العير حتى تغيب
وحتى اتي من دونها (الحب) اجمع

وحتى اجازت بطن (ضاس) ودونها
(دعان) فهضبا (ذي النجيل) ف (ينبع)

واعرض من « رضى » من الليل دونها
هضاب ترد العين ، عمق تشيع

إذا اتبعتهم طرفها حال دونها
رذاذ على انسابها يتربع

« من معجم البلدان »

طاشاء : واد من اودية الاشعر يصب على الصفراء .

ظبية : هو حد اقطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عوسجة
بن حرمة من ذي المروة ^(١) .

ظلم : من اودية القبلية ، وهو من اودية الاشعر - على
ما ذكر الهجري .

● - عباثر : نقل ياقوت عن ابن السكيت انه نقب ينحدر
من جبل جهينة ، يسلك فيه من خرج من اضم ، يريد ينبع ،
ومثله : قاعيس والمناخ ، منزل كلها انقب يؤذين الى ينبع ،
الى الساحل .

وتقدم في الكلام على الاشعر ان عباثر واد من اوديته ، وفيه
طريق يفضي الى ينبع .

(١) معجم البلدان « مادة ظبية » .

- — عَذْمَرُ : جبل عظيم من جبال الاشعر .
- — العَذْبِيَّة . « انظر حسنا » وهي صحراء لا تزال معروفة
بمخترقها طريق ينبع الى جدة .

● — العَرَجُ واد عظيم من اشهر الاودية الواقعة بين مكة والمدينة
ويبعد عن المدينة بمسافة تقرب من مائة ميل على مساحده
البكري في المعجم . وللعرج ذكر كثير لوقوعه في الطريق بين
المدينتين الكرمتين ، وهو غير العرج الذي ينسب اليه الشاعر
العرجي ، ذاك عرج الطائف ، اسفل وادي وج ، والموضعان لا
يزالان معروفين .

- — عَرَمُ . واد ينحدر من ينبع الى البحر ، عن السهمودي
 - — عزور . جبل يفصل بينه وبين رضوى طريق المعركة الى
الشام وبين الجبلين قدر شوط فرس ، وقد وصفهما عرام بن
الاصبع السلمي الاعرابي ، وصف الحبير بهما ورسالته مطبوعة .
- وسيل عزور يصب في غيقة ثم يصب في البحر .

● — العُشَيْرَة : موضع من ينبع ، غزاه رسول الله « ص »
وفيه مسجده ، وله ذكر كثير في كتب السيرة ، وفي كتب
الحديث . وقد اندرس هذا الموضع ، ويقع بقرب « عين البركة »

التي لا تزال معروفة ، مع قدمها ، وكانت احدى عيون هذا
الموضع ، يقع فيما بينها وبين البحر .

● - عُوتَسَجَة : موضع في الأشعر .

● - العُوَيْقِلُ : نقب في كهضة الجياء في جبل الاشعر .

● - العيص : بكسر العين المهملة بعدها ياء ، ثم صاد مهملة

وادي من اشهر اودية الحجاز ، الواقعة في الجهة الشمالية الغربية
من المدينة ، وهو تابع الآن لأمانة ينبع ، ولهذا الوادي ذكر
كثير في السيرة النبوية ، لوقوعه بقرب طريق القوافل التي تأتي
من الشام وتذهب اليه ، وقد ذكر ابن اسحاق ان ابا بصير بن
سهيل بن عمرو خرج حتى نزل بالعيص ، من ناحية ذي المروة
على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون الى الشام ،
وذلك عندما اتفق الرسول عليه الصلاة والسلام مع قريش على ان
يرجع اليهم من فر منهم ، وليس العيص على ساحل البحر ، بل
هو بعيد منه . وهو يصب في وادي الحمض « انظر لاضم » .

وادي العيص فيه عيون ونخل ، وفي عام ١٣٦٣ - كان
محصول زكاته من النخل ، باعتبار عشر الغلة « ٨٤٧٥ » أقة من
التمر من القرى الآتي بيانها :-

٤١٩٠ من قرية التَّجَل (بالجيم)

١٧٦٩ من عين العُثَيْنَات

٠١٩٨ من الأجرَد

١٠١١ من الحُصَيْن

١٣٠٧ من القَعْرَة .

ويسقى العيص من عيون تنحدر من الحرة ، وما بقرب
الوادي من الجبال .

والطريق الموصل اليه ليس معبداً ، ويبعد عن مدينة ينبع
بما يقارب ١٥٠ كيلو .

ولا يزال سكان العيص من قبيلة جهينة .

● - الغُرَابَات : أجبلٌ سودٌ ، بين ينبع والجار ، في شرقي
الطريق ، اذا خرجت من الجار تريد ينبع ، بينك وبين مطلع
الشمس (بلاد العرب)

● - غَشِيَّة : موضع من ناحية معدن القَبْلِيَّة ، ويروي
(عَسِيَّة) بمهملتين - عن ياقوت -

● - غَوَى : وادٍ غير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه ،
فسماه (رشاداً) وقد تقدم ذكره .

● - غَيْقَةُ : خَبْتُ عَلَى ساحل البحر ، يمتدُّ من ينبع الى قرب بَدْرٍ ، وتصب فيه سيول الصفراء وما بقرها من الاودية وسيول غيقة تصب في البحر . وذكر عرام ان ليليل وهو وادي ينبع - على ما ذكر - يصب في غيقة (وانظر ليليل) .

● - الْفَرَعُ : بالفتح - من اودية الاشعر قرب سويقسة ، بينها وبين وادي مشفر ، على مرحلة من المدينة .

وهو فَرَعُ الْمِسْوَرِ بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف وذكر الزبير عن محمد بن المسور انه كان بفرع المسور بن ابراهيم قال : فرأى فراس المزنني جبلاً فيه عروق مَرُوٍ ، فقال : ان هذا لمعدن ، فلو عملته . قال محمد بن المسور : ما لك وله ، انما هو لنا ابتعنا مياهه ، واقطع لنا سائره أبانُ بنُ عثمان في امارته ، فقال المزنني : عندي احق من ذلك قطيعةً من رسول الله (ص) قال محمد : فرجعت الى ابراهيم فذكرت له ذلك فقال : صدق ان يكن معدناً فهو لهم ، اقطع لهم رسول الله معادن القبلية غوراً بها وجلسيتها وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس وفي روايةٍ : وثنايا عمقٍ ، وفي رواية عقب جلسيتها : عَشْية وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس ، ان كان صادقاً .

● - الفَقَّارَةُ: موضع في الاشعر ، تقدم ذكره ، ولعله هو ما يعرف الآن باسم الفقرة^(١) ، وذكر السهمودي بأن العسل والحنطة الرياضية تحمل الى المدينة من حورة اليانية ومن ناحية الفقرة .

الفَيْضُ: ذكر البكري انه من مياه جهينة ، واورد شاهداً من قول ابن الطرية ، واخشى ان تكون (جهينة) تصحيف (جعدة) اذ بلاد جعدة قريبة من بلاد ابن الطرية ، بخلاف بلاد جهينة .

● - قَيْف: ذكره البكري - فيما نقل عن ابن الكلبي - من منازل جهينة ، فقال^(٢) : ونزلت طوائف من جهينة بذي المروة وما يليها الى فيف انتهى .

● - قَاعَسُ: من جبال القبلية .

● - الْقَبَلِيَّةُ: بفتح القاف والباء ، واوضح تعريف لها ما اورده الزنجشيري في كتابه عن الشريف عيسى بن وهب المكي - وهو خير بهذه المواضع - قال : القبلية سراة فيما بين

(١) ينطقه سكانه (الفجرة) يضخمون القاف فيخرجونها من مخرج الجيم .

(٢) معجم ما استعجم (ص ٣٨)

المدينة وينبع ، ما سال منها الى ينبع يسمى بالغور ، وما سال
 منها في اودية المدينة يسمى بالقبليّة ، وحدها من الشام ما بين
 الحُتّ - وهو جبل من جبال بني عرك من جبهة ، وما بين
 شرف السبالة ، والسبالة ارض يطؤها الحاج ، وفيها جبال واودية ،
 هذا ما ذكره السيد علي منها - مرتباً على حروف المعجم : -
 اذينة - وهو تبتد - البلياء - بواط - تبتد -
 الشاجة - حراضان - حوزة - الرّس - رسوس - شميسي -
 ظلم - المشيرة - منغر - ملحتان - منكنة - النباصة .
 ومن جبالها : -

الاجرّد - رقبة زغباء - الحت - سكاب - صرار -
 قاعيس - القلادة - الكويوة - الهيلة - المقتشمير .

وفي القبليّة معادن . وروي ان الرسول عليه الصلاة والسلام
 قطع بلاد بن الحارث المزني وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم :
 هذا ما اعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث اعطاء معادن
 القبليّة ، غوريّتها وجلسيتها ، غشية ، وذات النصب ،
 وحيث صلح الزرع من قدس ، ان كان صادقا . وكتب معاوية .
 ● - قدس . نقل البكري عن يعقوب بن السكيت ، قدس

وأرة جيلان لجهنمة ، بين حرّة بني سُليم والمدينة .

والذي عليه اكثر العلماء ان جبل قدس لمزينة وهو جبل معروف في الطريق بين مكة والمدينة ، وقد وصفه عرّام بن الاصبغ السلمي في رسالته ، وحدّده تحديداً دقيقاً . فقال : القدسان ، قدسُ الابيض ، و قدس الاسود ، وهما عند ورقان فاما الأبيض فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يُقال لها رَكْوَبَة ، وهو جبل شامخ ينقادُ الى المتعشّي ، بين العرّج والسقيا ، واما قدس الاسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يُقال لها حَزَتْ ، والقدسان جميعاً لمزينة .

● - قِرْدِسُ : بكسر القاف جبل في الحجاز ، قرب حرة النار ، في ديار جهنمة - عن ياقوت -

● - القِلَادَة : من جبال القلبية .

● - قَوْدَم : اسم جبل ورد في شعر عبد الدار بن حذيب الجهنمي تقدم في (الحوراء) .

● - الكَوْبَرَة : من جبال القلبية .

● - لَظَى : موضع تقدم ذكره في قصة الجهني الذي قال له عمر بن الخطاب « ض » ما اظن اهلك الا احترقوا .

● - لَقْف . عده البكري - فيما نقله عن ابن الكلبي - من منازل جهينة واورد في تَحْلِيَّتِهِ انه يقع في الطريق بين مكة والمدينة ، وهو قريب من المدينة ، ولآل الزبير فيه مِلْك ، واورد من شعر محمد بن عزوة بن الزبير :

لَعَنَ اللهُ بَطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً
وَمُجَاجَا ، فَلَا أَحَبُّ مُجَاجَا

لَقِيْتُ نَاقِي بِهِ ، وَبَلَقْفٍ
بِلْدَا مُجْدِيَاً وَارْعَا شَحَاجَا
واورد ياقوت - نقلاً عن عرام - وصف موضع آخر اسمه
لَقْفٌ في ناحية السوارقية .

● - مَبْكُثَةٌ : من اودية الأجراد ، وضبطها ياقوت بالنون
منكثة .

● - مَنَغَرٌ : (يروى بالعين وبالفين ، ويحتمل ان يكون من الثغر ، وهو التَّأْلِيلُ لجارته .. أو يكون من الثغور ، وهي رؤس الطرائث) .

واد من اودية القبلية ، هذا ما عرفه به الحموي ، ونقل السهودي : واد يفصل بين مَلَلٍ والفَرَيْش . واورد البكري قصة خرافية يحسن ايراد ملخصها لطرفها - نقلاً

عن ابن الكلبي ، قال : بينا الناس ذات يوم حول الكعبة ،
اذ هم بمخلق عظيم يطوف قد آزى رأسه أعلى الكعبة ، فأجعل
الناس هاربين فناداهم ألا ترعوا ، فنظروا فإذا هي امرأة
فقالوا : ما أنت انسية أم جنية ؟ قالت : بل انسية من جزوهم
ثم قالت : من ينحر لي كل يوم جزوراً ، وبعد لي زاداً
وبعيراً ، ويبلغني بلاداً قوراً ، أعطيها مالا كثيراً ، فانتدب لذلك
رجلان من جهينة ، فسارا بها إياماً ، حتى انتهت الى جبل
جهينة ، فأتت على قرية نخل وذرة ، فقالت : يا هذان ، احفرا
هذا المكان فاحفرا عن مال كثير ، من ذهب وفضة ، فأوقرا
بعيريهما ، ثم قالت لهما : إياكما أن تلفتتا فيختلس ما معكما .
قال : وأقبل الذر حتى غشيها ، فمضيا غير بعيد فالتفتا ،
فاختلس ما كان معهما من المال ، وناديا : هل من ماء ؟ قالت
نعم ، انظرا في موضع هذه الهضاب ، ودخل الذر منحريها
ومسامعها ، فوقعت لشقها ، فهلكت . ووجد الجهنيان عند
الهضبة الماء ، وهو الماء الذي يقال له مشجر وهو بناحية القرش
قرش ملل ، من مكة على سبع او نحوها ، ومن المدينة على
ليلة ، الى جانب منعر ، ماء لجهينة معروف ، فيقال : انهما بقيا
بتلك البلاد وصارت بها جماعة جهينة .

وذكره البكري بالعين المهملة وقال في الكلام على ملل :
وبالفرش : الجَرَبُ ، وهو بطن واد يقال له مَثَرٌ ، وهو
ماء الجهينة ، وذكره الاحوص فقال :

عَفَا مَثَرٌ مِنْ أَهْلِهِ فَتَقِيبُ
فَسَفَحَ اللّوى ، مِنْ سَائِرٍ ، فَجَرِبُ
فَذُو السَّرْحِ أَقْوَى ، فَالْبَرَقُ كَأَنَّهَا
بِحَوْرَةٍ ، لَمْ يَجْلَلْ بَيْنَ عَرِيبُ
وَذَكَرَ السَّمُودِي أَنَّ وَادِي مَثَرٍ يَفْصِلُ بَيْنَ الْفَرَشِ
وَالْفَرِيشِ

- المَخَاصِئُ : مِنْ مَوَاضِعِ الْأَشْعَرِ ، تَقْدُمُ ذِكْرَهَا .
- الْمَرَابِدُ : نَقَلَ الْبَكْرِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ قَالَ : نِصْعٌ .
جَبَلٌ أَحْمَرٌ ، بِأَسْفَلِ الْحِجَازِ ، مُطِيلٌ عَلَى الْقُورِ ، مِنْ يَسَارِ يَنْبَعِ
الْجَهِينَةِ ، قَالَ مُزَرَّدٌ :

أَتَانِي ، وَاهِلِي فِي جَهِينَةِ دَارِهِمْ
يَنْصَعٍ ، فَرَضَوِي ، مِنْ وَدَاءِ الْمَرَابِدِ
قَالَ : رَضَوِي : جَبَلُ جَهِينَةِ ، بَيْنَ يَنْبَعِ وَالْحُورَاءِ ، وَالْحُورَاءِ
فَرَضَةٌ مِنْ قُرْصِ الْبَحْرِ ، تَرَفُّأُ إِلَيْهَا السَّفِينُ مِنْ مِصْرَ ، وَيَنْبَعُ : وَادِي

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورضوى قفاها حجاز ، وبطنها غور ، يُضِرُّ به ساحل البحر ، والمراد : عيون فيها نخل لقريش وبني ليث بأسفل جُرَّاجير ، وهو وادٍ لجهينة .

● - "مر" : ذكر ابن الكلبي في « جمهرة النسب » وفي « نسب معدٍ واليمن الكبير » ان الرسول « ص » أقطع عوسجة بن حرّمة الجهني . « ذا مر » .

وقد جاء في النسخة المطبوعة من كتاب (جمهرة انساب العرب) لابن حزم - الطبعة الاولى مطابقاً لما في كتابي ابن الكلبي المخطوطين ، وفي الطبعة الثانية من جمهرة ابن حزم . « ذا أمر » وأشار المحقق الى ان ما في الطبعة الاولى تحريف . وكانت الذي حمله على هذا شهرة ذي أمر ، بخلاف ذي مر ، ولكن ذا امر من مواضع غطفان في نجد ، فكيف يُقطع جُهني موضعاً ليس في بلاده ؟

ان مختصر الجمهرة - نسخة مكتبة راغب باشا - المخطوطة سنة ٦٦٥ على غاية من الدقة وتحري الصحة ، وقد جاءت الكلمة فيها « ذا مر » ، بفتح الميم وتشديد الراء وتحتها كسرتان ^(١) ونسخة

(١) مختصر الجمهرة نسخة مكتبة راغب باشا في اصطنبول

كتاب النسب الكبير ، وان كانت غير متقنة الخط ، الا إنها
مخطوطة سنة ٦٢٦ هـ وكتب فيها : « دامر » .

وفي بلاد جهينة : مر ، واسماء المواضع كثيراً ما تلحق
بها : (ذا) .

ذكر الحازمي في كتاب البلدان ^(٢) . مُر - بضم الميم ، واد
من بطن إضم ، وقيل هو بطن إضم .

وهذا الموضع الذي ذكره الحازمي في بلاد جهينة والقول
بأنه هو الذي أقطع عوسجة الجهني ، هو اقرب الاقوال . وان
هذا الموضع هو الذي ذكر المتقدمون انه يقع بقرب ذي
المروة ، في الطريق بينها وبين المدينة « انظر المروة » وتقدم قول
السهودي ان امر من بطن إضم ، وهو يعني « مراً »

● - المَرْوَة . « ويقال : ذو المروة » ^(٣) مدينة لها شهرة
تاريخية ، نقل السهودي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل

(١) نسب معدو اليمن الكبير نسخة الاسكوريال « ص ٥٢٣ »

(٢) نسخة لاله لي « ص ١٧٥ »

(٣) وفاة « ٣٧٣/٢ »

بها حينما ذهب إلى غزوة تبوك فقال فيها نقل عن ابن زبالة . خرج -
 صلى الله عليه وسلم - حتى أتى المروة فأسند ظهره إليها ، ملصقاً
 ثم دعا قائلاً : « اللهم بارك فيها من بلاد ، واصرف عنهم الوباء ،
 واطعمهم من الجنى ، اللهم أسقمهم الغيث ، اللهم سلمهم من الحاج ،
 وسلم الحاج منهم » ، ثم اجتمعت إليه جهينة من السهل والجبل ،
 يشكون إليه نزول الناس بهم ، وقهر الناس لهم عند المياه ،
 فدعا اقواماً فأقطعهم ، واشهد بعضهم على بعض « بأنني قد
 اقطعتمهم وأمرت ألا^١ يثضاموا ، ودعوت لكم ، وأمرني
 حبيبي جبريل أن اعدكم حلفاء^(١) .

ولحقته جهينة في الرحبة ، فقال لهم : « من أهل ذي المروة ؟ »
 قالوا : بنو رفاعه من جهينة فقال : « قد قطعناها لبني رفاعه » .
 فاقسموها فمنهم من باع ، ومنهم من أمسك ففعل^(٢)

وازدادت شهرة تلك المدينة بعدما أصبحت محطة للحجاج
 يقدمون من الشام ، وللقوافل التي تتجه من المدينة ، ومن ينبع إلى بلاد

(١) كثيراً ما تضاف « ذو » إلى أسماء المواضع .

(٢) وفاء « ١٨٣/٢ »

الشام ، والى سواحل البحر الاحمر الشمالية .

ثم ضعفت في العصور المتأخرة بضعف الحكم في البلاد ، وانتشار القوضى ، وانقطاع الحجاج من ذلك الطريق .

وهي معدودة من وادي القرى .

وقد وصفها البشاري « القرن الرابع الهجري » فقال : ^(١)

والمروة بلدة حصين ، كثيرة النخل ، جيدة التمور ، سقياهم من قناة غزيرة ، عليها خندق وأبواب حديد ، وهي معدن المقل والبردي ، حارة في الصيف ، الغالب عليها بنو جعفر .
وعدها هي والخوراء من مدن خيبر .

وحدد المسافة بينها وبين ينبع فقال : من ينبع الى رأس العين مرحلة ، ثم الى المعدن مرحلة ، ثم الى المروة مرحلتين ^(٢) .
وذكر ان بينها وبين ينبع معادن ذهب .

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم « ص ٨٣ الطبعة

الثانية ١٩٠٦ » .

(٢) المصدر السابق « ص ١٠٧ »

(٣) « » « ص ١٠١ »

وقال ياقوت : ذو المروة : قرية بوادي القرى ، وقيل بين
خشب ووادي القرى ، نسبوا اليها ابا غسان محمد بن عبد الله
المروزي .

وذكرها عرضاً ، فقال في تحديد المواضع الآتي ذكرها : -
بلاكت : قارة من ذي المروة بينه وبين ذي خشب
بيطن اضم .

طبخ : موضع أسفل ذي المروة ، وذو المروة بين خشب
ووادي القرى .

ذهبان : جبل اسفل ذي المروة .

ظبية : اورد حديث اقطاع حرملة بن عوسجة المروة .
وقال البكري : ذو المروة من اعمال المدينة ، قرى واسعة ،
وهي الجهينة ، كان بها سيرة بن معبد الجهني ، صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولده الى اليوم فيها . بينها وبين المدينة ثمانية
بُرد (البوريد = ٤ فراسخ ، الفرسخ = ٣ اميال = ٨ × ٤ = ٣٢ ×
٣ = ٩٦ ميلاً) والحواء من وراء ذي المروة على ليلتين .

وذكر البكري : ان مدينة ذي المروة بين ذي خشب
ووادي القرى .

وكان ذو المروة يقع في طريق حجاج الشام ، ولهذا حدد المتقدمون ^(١) المراحل بينه وبين المدينة بأربع هي :
المدينة ذو خشب ، السويداء ، المر ، ذو المروة .

وقال البشاري ^(٢) : « تأخذ الطريق من يثرب الى السويدية او الى بطن نخل مَرَحَلَتَيْن ، مَرَحَلَتَيْن ، ومن السويدية الى ذي المروة مثلها فان اردت جاذة مصر ، فخذ من المروة الى السقيا « سقيا يزيد » هي احسن مدن هذه الناحية والبساتين والنخيل متصلة من قرح ^(٣) اليها » ثم الى بَدَا يعقوب ثلاثاً ، ثم الى العونيد ، مَرَحَلَة ، وان اردت الشام ، فخذ من السقيا الى وادي القرى مرحلة ، ثم الى الحجر مرحلة ، ثم الى قباء ثلاث مراحل .

(١) ابن رسته « ١٨٣ » ابن خرداذبة « ١٥٠ » قدامة

بن جعفر « ١٩١ »

(٢) احسن التقاسيم « ص ١٠٧ »

(٣) ناحية قرح تسمى وادي القرى ، وليس بالحجاز اليوم بلد اجل وأعر وأهل ، واكثر تجارة واموالا وخيرات بعد مكة -

وفيه من قول السهمودي^(١) : (كان بها عيون ومزارع
وبساتين أثرها باقٍ الى اليوم) انها درست قبل القرن العاشر .

كما يفهم من القول الذي نقله عن الزبير في وصف وادي اضم
ان ذي المروة تقع في مجتمع وادي اضم بوادي الجزل من
الغرب ، ووادي العيص من القبلة - يفهم من هذا ان الاطلال التي
تعرف الآن في متسع التقاء تلك الاودية ، والتي اطلق عليها
في الخارطة^(٢) اسم (أم ذرب : Omm DharB) وتقع على
الدرجة ٢٥ / ٣٨ العرض الشرقي والدرجة ٢٦ / ٢٥ شمال خطا
الاستواء - تلك الاطلال هي اطلال بلدة ذي المروة ، لانطباق

- من هذه ، عليها حصن منيع ، على قرنته قلعة ، قد احدثت به
القرى ، والتفت به النخيل ، ذو تمور وخيصة ، واخبار حسنة ،
ومياه غزيرة ، ومنازل انيقة واسواق حارة ، عليه خندق وثلاثة
ابواب محددة ، والجامع في الازقة .. وهو بلد شامي . مصري .
عراقي . حجازي . غير ان ماءهم ثقیل وتمرهم وسط ، وحمامهم
خارج البلد . « البشارى : ص ٨٣ / ٨٤ »

(١) وفاء « ٢ ٨١٢ » .

(٢) ابحاث جيولوجية مختلفة خريطة رقم B ٢٠٥ - I

أكثر ما ذكره المتقدمون على ذلك الموضع .

ولشهرة « المروة » أو « ذي المروة » - وهو الأكثر - عند متقدمي العلماء ، كانوا يجدّون كثيراً من المواضع بالنسبة إليها فيقولون مثلاً :

عثمان^١ : جبل بين المدينة ، وبين ذي المروة ، في طريق الشام من المدينة .

العُشَيْرَة^٢ : حصن بين ينبع وبين ذي المروة - مع أن شهرة العشيرة أقوى من شهرة ذي المروة في كتب السيرة النبوية .
العيص^٣ : من ناحية ذي المروة .

وقد أقطع الرسول صلى الله عليه وسلم عوسجة بن حرملة الجهنني من ذي المروة ، فقد روى ابن سعد^(١) . كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعوسجة بن حرملة الجهنني ، بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى الرسول عوسجة بن حرملة الجهنني من ذي المروة ، أعطاه ما بين بلكنة إلى المصنعة ، إلى الجعلات إلى الحد ، جبل القبلة ، لا يُحَاقُه أحد ، ومن حاقه فلا حق

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٥ الطبعة المصرية

له ، وحققه حق ، وكتب العلاء بن عقبة وشهد (١) .

- — مَشْجَرٌ : — ضبطه البكري بفتح اوله واسكان ثانيه ثم جيم مفتوحة وراء مهبله — وهو ماء تقدم ذكره في (مشعر) وقد ذكره ياقوت باسم « مُنْتَخِر » وسيأتي .
- — المصلى : — عدّه البكري من منازل جهينة ، فيما نقل عن ابن الكلبي ، ولم اثر على تحديد لموقعه .

- — المَصْنَعَة : موضع ورد ذكره في اقطاع عوسجة ، من ذى المروة وتقدم .

- — المُقَشْمِرُ : من جبال القبلية .

- — مِلْحَتَان : من اودية القبلية .

- — مِلْحَة الرُّمَثِ : موضع في الاشعر .

- — مِلْحَة الحَرَبِص : موضع في الاشعر .

- — مُنْتَخِر : من نخر العظم إذا بلي ، موضع بناحية فرش

(١) البلدان للحازمي ، معجم البلدان لياقوت « مادة ظبية »
وقد اعتمدت على كتاب الحازمي لقدم كتابته .

مَلَلٍ ، من مكة على سبع ، ومن المدينة على لَيْلَةٍ ، وهو الى جانب مَشْجَر . كذا جاء في معجم البلدان ، ولكن البكري سمّاه : مَشْجَر ، (وقد تقدم) ولا شك ان احد الاسمين تصحيف للثاني ، ولعل الصواب ما ذكره البكري .

● - مُنْشِد - بالضم وكسر الشين - . موضع بين رضوى ، وبين الساحل - ذكره ياقوت .

● - نَاصِفَةٌ . من اودية القَبَلِيَّةِ .

● - النصب ذا النُصْب . ورد ذكرها في اقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزني ، معادن القبيلة .

● - النَّصْع : بكسر النون بعدها صاد فعين مهملتان - وهو في اللغة كل لون خالص البياض او الحمرة او الصفرة ، وهي جبال سود بين ينبع والصفراء لبني ضمرة ، كذا قال ياقوت - ثم انشد قول مُزَرَّرَد :

اثاني واهلي في جهينة دارهم

ينصع ، قرضوى ، من وراء المرابد

تاؤه شيخ قاعيد ، وعجوزه

حزينين بالصلعاء ، ذات الاساود

وقول مُزَرَّدٍ يدل على أن النّصع من دار جهينة .

● - نَمَلِي : وادٍ من اودية الاشعر . ولعله تصحيف تَخَلَّى

● - وَدَّان : قرية جامعة من نواحي الفرع بينها وبين

هَرَشَا مئة اميال ، وبينها وبين الابواء نحو ثمانية اميال ،
قريبة من الجحفة - هذا بعض ما جاء في معجم البلدان من
تعريفها ، اي انها تقع في الطريق بين مكة والمدينة قبل رابغ
(الجحفة) لقاصد مكة من المدينة ، وها هي المسافة بينها وبين
المدينة على ما جاء في معجم ما استعجم للبكري (مادة
العقيق) قال :

من المدينة الى ذى الحليفة ٦ او ٧ اميال

» ٨ من ذى الحليفة الى الحفير

» ٨ من الحفير الى مَلَل

» ٧ من ملل الى السيلة

١١ ميلا من السيلة الى الروحاء

٢٤ ميلا من الروحاء الى الرويثة

١٤ ميلا من الرويثة الى اثاية العرج

من اثاية العرج الى السقيا ١٧ ميلا

من السقيا الى ودّان ٨ أميال

من ودّان الى هرّشى ٥ د

من هرّشى الى الجحفة ميلان

وودّان على ما اوضح عرام بن الاصبح السلمي اسفل من
هرّشى مما يلي المغرب ، يقطعها المصعدون من المدينة ،
وينصبون فيها منصرفين الى مكة ، ويتصل بها مما يلي المغرب
عن يمينها بينها وبين البحر رّخت .

ومن ودّان : الشاعر نصيب ، ومن شعره .

قفوا حدّثوني عن سليمان إنني

لمعرفه من أهل (ودّان) طالبُ

فعاوجوا فأتنوا بالذي أنتَ أهلهُ

ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقايبُ

ونقل ياقوت عن ابي زيد البلخي قوله . ودّان من الجحفة
على مَرَحَلَةٍ ، بينها وبين الابواء ، على طريق الحاج ، في
غربيّها ستة اميال . وبها كان في ايام مقامي ، رئيس للجمعريين

ابناء جعفر بن ابي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة ،
وبينهم وبين الحسين حروب ودماء ، حتى استولى طائفة من
اليمن ، يعرفون ببني حرب على ضياعهم ، فصاروا حرباً
لهم ، فضعفوا .

وانتقال بني حرب الى هذه النواحي كان في سنة ١٣١ هـ
على ما ذكر الهمداني في كتاب الاكليل^(١) .

ان ودان هذه تقع في أسفل الفرع ، على خط عرض ٢٣/٦
شمال خط الاستواء ، وعلى خط الطول ٣٩/٣ شرقي
جرينتش وتبعد عن المدينة بما يقارب الـ ٢٥٠ كيلاً ، وهذه
المسافة لا تتفق مع ما ذكر البكري ، ومن المعلوم ان تحديد
البكري على اساس طرق القوافل ، وفي عهد كانت تلك الطرق
يعترضها منعطفات ، وعقبات ، وهي تتبع ما سهل سلوكه من
الارض ، وقد تغيرت حالة الطرق في العهد الحاضر .

● — وَسَوَاسٍ — من الوسواس — من اودية القبلية ، يصب

(١) الاكليل (ج ١ ص ٣٠٧)

من الاجرد ، على الحاضرة والنكباء ، وهما فرعان بهما نخل
لجھينة وغيرهم - عن السهمودي .

● - الوَسل : ماء بطرف جبل عَذَمَر الشامي في الاشعر .

● - هُزَر : من اودية الأجرد التي تصب في الغور ، لبني
عثم من بني مالك من جُھينة .

● - يَلَيْل : وادي ينحدر من الصفراء ، ثم تجتمع فيه سيول
بَدْر وما حوله ؛ وينجھ مغرباً بيميل نحو الجنوب حتى يصب
في البحر ، في موضع يدعى الرايس ، وهو موقع الجار ميناء
المدينة المعروف قديماً .

وله ذكر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في
السيرة - في خبر غزوة بدر : ان قريشاً نزلوا بالعدوة القصوي
من الوادي خلف العقنقل ، ويلي ، بين بَدْر وبين العقنقل ،
الكثيب الذي نزلت خلفه قريش ، والقلب بيدر من العدوة
الدنيا من بطن ليل الى المدينة .

اي ان ليل هو وادي بدر .

وقد ذكر المتقدمون انه يصب في البحر عند ينبع ، في غيقة

— جاء هذا في رسالة عرام، ونقله البكري وياقوت في معجميهما
ولكن مصب الوادي - كما يبدو من المصور الجغرافي يقع
جنوباً عن ينبع .

● - ينبع . ناحية واسعة ذات قرى وعيون ، واودية وقد
افردنا لها بحثاً خاصاً .



استدراکات



الاول : حول السيد جعفر البيتي

جاء من الصفحة ٩٦ - ان السيد البيتي كان قد مر بهذه المدينة .

والصواب : انه كان موظفاً فيها ، فقد ترجمه الجبرتي في تاريخه ترجمة مطولة ، ومما جاء فيها قوله عنه : (ولي كتابة الينبع ، ثم وزارة المدينة) .

وقد اورد قصيدته ضمن ما ورد من شعره ونثره اوردها في ٥٢ بيتاً .

ومما جاء فيها ، مما لم يتقدم ذكره قوله :-

واصبحت في دار المشقة والعناء

أخاطبُ أوغاد الورى ورعاعه

وكلباً من الاعراب يعوي كأنه

يريد اذا لاقى الامين ابتلاعه

فلو صاح فوق الصخر خرّ لوقته

وابصرت من ذاك الصباح انصيداعه

براه اله الخلق للناس نقمة

وقد من الصخر الاتصم طباعه

(١) تاريخ الجبرتي « ٣١٨/١ الى ٣٣٤ »

فلا رَحِمَ الرَّحْمَنُ أَرْضاً يَحِلُّهَا
وباعد عثًا بالسنين انتجاعه

ومن كل جبار عنيد يرى الورى
عبدا لديه ، والبقاع بقاءه

شقيّ عصى الرحمن في كل أمره
ومال الى شيطانه وأطاعه

فقلّ لرعاة الوقت : إن نعا جكم
اتاح لها ريب الزمان سباعه

فهل لكم في لم شمل الذي بقي
برأي بديع تحسنون ابتداءه

وإلا فان الامر لله كله
ولا رأي في خرق يريد اتساعه

سلونا عن الدنيا ، فكل نعيمها
متاع غرور ، لا يديم متاعه

وما اعتضت من كوني أديباً وفاضلاً
لدى الناس الا قوله ومماعه

ومن كان يرجو في الامانة مغنا
 فغفلوا له أوضاعه وخراعه
 وقولوا له : هذاك ينبع حاضر
 لمن رام يبلو ضرته وانتفاعه
 فكم كاتب افنى اليراع كتابة
 ومَلّ والقى في اليراع كتابه
 وكم بدوى داسه فسوق بطنه
 ومزق ما بين الانام رقاعه
 ومن جاءكم مثا مع الليل شاردأ
 فذاك لهول واقع فيه راعه
 ومن يمتنع عن خدمة مثل هذه
 (فلا تنكروا اعراضه وامتناعه)
 فما يكسب الكيئال الا غباره
 ولا الكاتب المسكين الا صداعه

وهذه الابيات تصور جانباً من حياة البيتي ، وما قاساه في
 تلك البلدة ، من المشقة ، والاهانة من رؤسائه ومن غيرهم .
 واذن فلا لوم عليه وقد قاسى ما صوره ان ينظر الى تلك
 البلدة الطيبة نظرة خاصة ، من زاوية خاصته .

٢ - جيش محمد علي ينهب ينبع ، ويسبي أهلها .

في الصفحة الـ (٨٧) اشارات عن قيام محمد علي باشا بغزو البلاد سنة ١٢٢٦ هـ .

ومما ينبغي ان يضاف الى ذلك ، ما قام به الجيش الذي بعثه محمد علي باشا الى ينبع ، من ضروب العبث والفساد والقتل والسبي في تلك البلاد .

ولندع الجبرتي - وهو مؤرخ معاصر لما حدث يتحدث عن تلك الحادثة .

قال - بعد ان اشار الى ان الشريف غالباً شريف مكة ، كان يقف موقفاً مُدَبِّدباً ، بين الدولة السعودية التي هو تحت حكمها ، وبين الغازي الجديد ، بل ذكر انه كان يكاتب كلا الفريقين مُظْهِراً الموافقة لكل واحد منها ، ولندع هذا ، الى ما نحن فيه .

قال الجبرتي : - في حوادث سنة ١٢٢٦ هـ - جاء الخبر بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ، ونهبوا ما كان من

ودائع النجار وذلك انه كان بمرسة ينبع عدة مراكب
وداوات .. وارسل الشريف غالب الى المراكب الكائنة بمرسة
الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ، ويودعوه قلعة
الينبع تحت يد وزيره ، وترك معه نحو خمسمائة من عسكره ،
واخذ المراكب فأوسقها من بضائعه وبهاره وبنته ، وارسلها الى
السويس لتباع بمصر ، ثم توسق بمهات العساكر البحرية ، فلما
وصلت مراكب العساكر البحرية وألقت مراسيها قبالة الينبع
احتاجوا الى الماء ، فلم يسعفهم بالماء ، فطلع طائفة من العسكر
الى البر في طلب عين الماء ، فمانعهم من عندها مرابط فقاتلهم ،
وطردوهم ، ومنعهم عن الماء وفي حالة رجوعهم رموا عليهم من
القلعة المدافع والرصاص ، والحال ان الامر مبنيهم على الفريقين
فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة ، فملكوا القلعة
وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم الا الوزير ومعه ستة انفار ،
خرجوا هارين على الحبول . ونهبوا كل ما كان بالينبع من
الودائع والاموال والاقمشة والبُن ، وسبوا النساء والبنات
الكائنات بالبندر ، واخذوهن أسرى وبيعهن على بعضهم
البعض .

ووصل المبشرون بذلك في عشرين رمضان سنة ١٢٢٦ هـ .
فغضبوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة ، وعملوا سكا . وطافت

المبشرون على بيوت الايمان وارسلوا بالبشارة شخصاً كبيراً
الى اسلامبول يبشرون اهل الدولة وسلطان الاسلام وكان ذلك
اول فتح (١) .

مُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ ظَالِمًا ، وَتَسْبِي نِسَائِهِمْ وَتَنْتَهَكُ حُرْمَاتِهِمْ
ثُمَّ تُقَابِلُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَقْشَعِرُّ لَهَا الْأَجْسَادُ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ
الَّتِي تَدْعِي الْإِسْلَامَ - بَلْ مِنْ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَعْبُرُ الْمَوْزُخُ -
بِالْفَرْحِ وَالْإِسْتِبْشَارِ !!

(١) تاريخ الجبرتي ، ١٣٥/٤ و ١٣٦ .

تصحیحات

(مع ما بذل من الحرص على تصحيح التجارب ، وقعت
تطبیعات (اغلاط مطبعية) لا تخفى على القارئ نشير الى بعضها)

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٢	١٠	وذووه	وذويه
٤٩	١٤	فاشتروا من الاشراف	فاشتروه من الاشراف
٥٣	٠٧	ما فيه	ما فيها
٥٤	٥/٤/٣		هذه الاسطر مكررة
٥٨	١٦	بين قبيلة	من قبيلة
٦٤	٢	كان الحج	كاد الحج
٦٤	٤	ولا تصفها	ولم تصفها
٨١	٢	الاء	الأعشا
٨١	٤	أعرب	عرب
٨٢	١٨	هذا المسلك	هذه المسالك
٨٥	٣	الينبع	ينبع
٩١	١	عداد	بمداد
٩٨	١٨	يعلقون	يغلقون

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠٢	١	زرعت العنا	ذرعت الفنا
١٠٣	٥	(لعدوس)	(المعدوس)
١٧١	١٢		سقطت سمها هذه المادّة:
			البُقَيْيغَةُ : من اشهر عيون ينبع ، واقدمها وهي من عيون علي (ض) ولها ذكر كثير في كتب التاريخ ومعجمات الامكنة .
			وقد درست العين واصبح اسمها يطلق على مكان يقع بين قريتي المبارك والمزرعة .
١٧٧	٦	عضا	عفا
١٧٨	٨	مصر	من مصر
١٧٩	١٣	الخوراء	الخورا
١٨٠	١٢	انه	انه قطع
١٩٤	١	لاعبة	لاعبة
١٩٦	١	أبى اللحم	آبى اللحم
١٩٩	٢	عمق	عمق
١٩٩	٤	انسابها	انسانها
٢٠٧	٦	مجاجا	مجاجا
٢٠٧	٩	سحاجا	شحاجا .